

عباده خانہ
لندنستانہ



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة في استنهاض وتأكيد الانتماء والوعي القومي العربي، في إطار المشروع الحضاري العربي المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافي والعلمي مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز إلى تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة في ما يصدر عن المركز تعبر عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز
على عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

4 ش العلمين - عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات - القاهرة
تليفاكس: 33448368 (00202)

E.mail: hadaraa1990@gmail.com

ميلاد حلمي

عبادة خانة لندنستان

رواية



عباده خان.. لندنستان

رواية

الكتاب:

ميلاد حلمي

المؤلف:

مركز الحضارة العربية

الناشر:

القاهرة ٢٠٢٣

الطبعة الأولى:

الجمع والصف الإلكتروني: وحدة الحاسوب بالمركز
الإشراف الفني والجرافيك: محمود عبد الفتاح

٢٠٢٣/٥٣١٩

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي: 978 _ 977 _ 496 _ 593 _ 7

حلمي، ميلاد.

عباده خان.. لندنستان: رواية، ميلاد حلمي. _ الجيزة:

مركز الحضارة العربية، ٢٠٢٣.

١١٤ ص: ٢٠ سم.

تدمك: ٧ - ٥٩٣ - ٤٩٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١ _ القصص العربية

أ _ العنوان

إهداء
الى الإنسانية النبيلة
والمربية الفاضلة
الدكتورة / عواطف عبد الرحمن
رمز الفكر الشامخ و المواقف الراسخة

في البدء

”في البدء كان شيئاً ما..

تفاعل مع شيءٍ ما..

فصار كل شيءٍ..“

الكون بسماواته العديدة ممتدّ غارقٌ في الظلام.
ظلامٌ كثيفٌ يلفّ كلّ شيءٍ، يحمل النجوم وكواكبها،
يمنعها من السقوط. كُراتٌ مختلفة الأحجام والألوان مُعلّقة
كلُّب في سقف حجرة أطفال. يدور كل منها حول الأخرى
بحميّة وانتظام، تلمع وسط كتلة الظلام الممتدّ كوقدة
شمع واهنة وهي تجري إلى مصيرها المحتوم.
عَن بُعد، شمسٌ تحتضر.. ينفذ هيدروجينها، تخدم
نيرانها، تتفجر مُرسلةً ألسنةً لهيبها في الفضاء تثير ظلمته.
من حولها تبكي كواكبها، تلطم نيازكها، تسيل
محيطاتها، تلفظ توابعها.. تندفع العائلة كلها في أحضانها
محاولة رد الحياة إليها، تهتز العائلة وسط مجرتها قبل أن
تتحول إلى شظايا تتناثر في الفضاء.

الشموس الأخرى تدبّ أختها المُحتضرة، تجذب كواكبها
الصغيرة إلى أحضانها، تلملم نيازكها، تحتضن أقمارها.
الهدوء يعود بعد الانفجار. يغرق الكون مرةً أخرى في

الظلام الكثيف ، الشمس هائئة بكواكبها تدور حولها
حامدةً فضل جاذبيتها ، الأقمار والتوابع تدور وتدور حولها
كواكبها في حميةٍ ونظام ، الكل يدور حول الكل في
مجرات متناهية الدقة.

يهمس "أبو الفضل" لنفسه:

_ يا لها من قصة حُب.. حتى الشمس تموت !

وقال لصديقه:

_ أتصدق يا شيخ "بادوني"؟ لو أدرك الخلق على الأرض
أن شمسهم ستخبو.. لعاشوا جميعاً في حُبٍ وسلام..
وكفوا عن الحروب والقتال.
رد الشيخ مأخوذاً:

_ كل هذا خيال.. شمسٌ تموت!! كواكب تنفجر!! ونحن؟
_ نحن لا شيء ، حبة رملٍ حقيرةٌ على شاطئٍ محيط.
_ ماذا تقول؟

_ هل رأيت يا رجل كيف عاد النظام؟ كل جسم يلف
ويدور حول الآخر ، كلما سقط أحدهم تلقفه آخر.
كأن الكون قطعة واحدة متجانسة متناسقة.
وصاح الشيخ مدهوشاً:

_ بل كل هذا خيال.. ألا عيب.. كيف أصدق ما يحدث
على شاشتك اللعينة هذه؟ لقد مُت منذ قرون.
_ نعم.. وبقيت روحك النجسة تُدنس الكون.
_ لقد تعبتُ من ألعيبك يا ابن الشيخ "مبارك". تعبت من
الترحال. متى ستنتهي هذه المهزلة؟

_ قريباً.. قريباً يا شيخ "بادوني". حين ترى الحقيقة ستهلك
 روحك وتخمد أنفاسك.
 ارتعد الشيخ قائلاً:
 _ متى؟ هل اقتربنا؟ هل وصلنا؟
 رد "أبو الفضل" بثقة:
 _ نحن في الطريق.. نسبح في الفضاء الفسيح، نتصيد
 الضوء القادم من كوكب الأرض.
 _ سنضيع في الفضاء.
 _ يا للعلم.. سنكشف سر الأسرار.. سنكشف سر الأسرار.
 _ كف عن ألعيبك يا ابن الشيخ "مبارك".. اتفقنا على
 رؤية الهند في عهد "أكبر".. لن أصدق شيئاً مما أرى
 على هذه الشاشة.. أرني وجهاً أعرفه.
 _ ألا تريد معرفة سر الحياة؟ بداية الحياة على الأرض.
 _ يا الله.. قروناً ونحن نسبح في الفضاء.. كل ما يجري
 أمامي هو جزء من ألعيبك الشيطانية.
 _ يا للعلم.. سترى خروج الحياة من الجماد.. سر الكون.
 _ يا الله.. سنضيع في هذا الكون الواسع.
 _ لكنك هلكت على الأرض منذ قرون.
 _ ماذا أفعل هنا؟ من أنا؟
 _ أنت قديس.. ألم تعمل للأخرة؟
 _ وأنت يا شيطان يا ابن الشيطان؟
 _ أنت وأنا في نفس المركبة.. نعم.
 _ تعنى أننا... مستحيل.
 _ بالضبط.. هل أنت في النار مع فطاحل الشعراء؟ أم في

- الجنة مع بسطاء الخلق؟
- _ تعبْتُ من مجادلاتك.. متى أهلك كغيري من البشر؟
- _ من يبحث عن الحقيقة لا يهلك أبداً يا شيخ.
- _ لنكف عن البحث.. الهلاك أفضل.
- _ أضعت فرصتك على الأرض.. قد تموت يوم نتفق.
- _ لن نتفق أبداً.
- _ الحقيقة.. الحقيقة أصبحت واضحة للعيون.. لنذهب إليها، لنربأ عيننا.. في البدء كان.. بداية الخليقة.
- _ بل سلَّطَ مِنْظَاركَ اللعين على الهند.. الحقيقة في الهند.
- _ أما زلت تهتم بهذه السخافات؟
- _ يا الله.. سبحان الله.
- _ ألا ترى الكون وعظمته؟ حياة الإنسان على الأرض تقاهات.
- _ ليتني تعلمت التحكم في هذه الأجهزة.
- _ كيف وأنت لا تقرأ إلا نفس الكُتُب؟ بل نفس الكتاب.
- _ أرني وجهاً أعرفه، شيئاً آلفه.. أين وعدك؟
- _ لنعود إلى تاريخ الإنسان الحقير على الأرض.. لماذا أضيع وقتي في هذه الترهَّات؟
- _ لأننا اثنان على هذه المركبة الملعونة.. لست وحدك.
- _ لن نتخلص أبداً من طبيعتك البشرية الوضيعة.
- _ وأنت لن تتخلص أبداً من طبيعتك الشيطانية.
- _ يا رجل.. سر الأسرار.. علماء وفلاسفة الأرض بذلوا أعمارهم يحاولون كشف الستار عنه.
- _ بل سر الأسرار هو دورك في انقلاب "أكبر" عليّ.. سر

الأسرار هو دور "بيرمان خان" في سقوط دلهي.. هو..
 _ ما زالت عبيد هذه التفاهات الإنسانية.. لنعود لهذه
 العصور المظلمة إرضاءً لفضولك البشري.
 _ يا الله.. هيا بنا إلى عصر السلطان "أكبر".
 _ ستري.. لقد وصلنا لسديم بالآنيثير.. من هناك نستقبل
 ضوء الأرض المُرسَل منذ أربعمئة وخمسين سنة ضوئية.
 _ ماذا تقول؟
 _ يا للعِلم.. سنحط على كوكب قريب من مجموعة
 فيرسو، سنقترب من نجمة هيليوس أو نجمة أيونيز
 القزمة البيضاء.
 _ حياتي في يدك.. سنحترق إذا اقتربنا من أحد الشمس.
 _ لا تقلق يا شيخ.. سنهبط على كوكبٍ حقير يلف حول
 أحد هذه الشمس.
 _ كلامك كلام سحرة وشعوذة.
 _ ألا تفهم أن حساباتي بمئات، آلاف من السنوات
 الضوئية.. ملايين الكيلومترات كي يرسل الضوء
 صورتك الموقرة من الأرض.
 _ صورتني؟!
 _ سأريك فسقك وفجورك حتى تُصدّق.. هل ترى الأرض
 ومجموعتها الشمسية.. حبة رمل في الكون الواسع
 الفسيح..
 _ هذه الكُرة.. لا أفهم شيئاً مما تقول.
 ضغط "أبو الفضل" على مفتاح أمامه فخرج صوت آلي أجوف:

"مجرة ممر لاكتي.. المجموعة الشمسية.. كوكب الأرض".
دق بأصابعه على الآلة فظهرت كلمة الهند.

وجاء الصوت الآلي:

"دولة الهند.. القرن الخامس والعشرون.. دولة الهند تهاجم
دولة باكستان بالقنابل الذرية.. باكستان ترد عليها بالقنابل
النووية.. مُدن شاسعة تُمحى من الوجود.. ثلاثون مليون قتيل":
مئات الملايين من الجرحى والمشوهين.

وهاج الشيخ صائحًا:

_ غير معقول.. لا توجد دولة باسم باكستان.

_ رأيت الحروب بعينيك على الشاشة.

_ لقد أخطأت في حساباتك.. أريد عصر "أكبر".

_ معك حق.. نتقدم، نتراجع..

_ لعنة الله على العلم.. هذه الأجهزة الشيطانية.

_ سرعة الضوء ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية،

اضرب في ستين لتحصل على سرعته في الدقيقة،

ثمانية عشر مليوناً من الكيلومترات، في الساعة، في

اليوم، في السنة.. يجب أن نبتعد خمسمائة عام.

_ سنضيع في متاهات الكون.

_ وماذا ستخسر؟ أنت ضائع في كل الأحوال.

_ يا الله.. نجنا من كل هذه الشرور.

_ خمسة قرون.. هيا.. كوكب الأرض.

وجاء الصوت الآلي:

"كوكب الأرض بداية القرن العشرين.. حربٌ كونية:

ألمانيا، النمسا، إيطاليا، المجر، بلغاريا وتركيا من

جانب. فرنسا، إنجلترا، بلجيكا، صربيا، رومانيا، اليونان والبرتغال من جانب آخر.. (9 ملايين قتيل، عشرات الملايين من الجرحى والمشوهين".

صاح "أبو الفضل":

_ جُن الخلق على الأرض.. عادوا إلى الهمجية.

وجاء صوت الآلة:

"الأتراك يذبحون الأرمن.. مليون ونصف مليون قتيل".

وصاح الشيخ "بادوني":

_ حروب المغول كانت هينة.. ماذا أرى؟! تقدم، تراجع.

وضغط "أبو الفضل" على مفتاح آخر فخرج الصوت الآلي:

"كوكب الأرض، منتصف القرن العشرين. حرب

كونية، دول الكرة الأرضية تحارب بعضها البعض.. 50

مليون قتيل.. مئات الملايين من الجرحى والمشوهين على

سطح الأرض.. نهاية الحرب، دولة أمريكا تلقي بأول قنبلة

ذرية على دولة اليابان".

_ تاريخ الإنسانية حروب.

وتابع "أبو الفضل":

_ لقد جُن الإنسان على الأرض.

وعاد الصوت الآلي:

"نهاية القرن العشرين: الصربي يذبح الألباني، الكرواتي

يقتل الصربي، التوتسي يفتك بالهوتو، الفلبيني يقتل الفلبيني،

الروسي يقتل الشيشاني، الإسرائيلي يسحق الفلسطيني".

وصاح الشيخ:

_ كفى.. كفى.. الهند. الهند. عصر "أكبر".

ظهر على الشاشة كلمات: الهند.. تقسيم الهند، وجاء الصوت الآلي مرة أخرى:

"الحرب الأهلية، ملايين من المسلمين تهاجر إلى الشمال، ملايين من الهندوس يهربون جنوباً.. ملايين تسيرون على الأقدام في كل الاتجاهات.. الحقد والكراهية في كل العيون.. الخوف والرعب يملك نفوس القوم.. كانوا يعيشون معاً في سلام.. والآن الأطفال تموت في أحضان الأمهات، العجزة والمسنون يتساقطون على الطريق.. يُلقَى الحجر الأول.. يهجم كل فريق على الآخر يفتك به.. تظهر سيوف وبنادق، شوم وبلط ومسدسات.. ترابٌ يتصاعد يغبر الوجوه، دماءٌ تسيل، بريطانيا العظمى تتسحب بقواتها، الهند تقسم إلى دولتين.. المسلم في باكستان، والهندوسي في الهند.. ملايين القتلى، مئات الملايين من المشردين".

_جاءك كلامي.. لو أدخل "أكبر" الهندوس بالقوة إلى الإسلام لما حدث ذلك.

_ بل لو أكمل إصلاحاته لما حدث ذلك.

_ كان يجب أن يسود الإسلام ولو بالقوة.

_ ما كان يجب أن يسود هو التسامح والمحبة.

_ اذهب بنا لعصرنا.. لقد بعث الإسلام نفاقاً لـ "أكبر" ونزواته.

_ بل أنت وأمثالك من شوه صورة الإسلام حُباً في المال والسلطة.

_ يا للحسرة.. لو تمكنت منك على الأرض.. لو كنت قد

تمكنت من أبيك الشيطان الفاسق.
_ لن تتخلص أبداً من طبعك الإنساني الفاسد.
_ ليتني قد قتلتك على الأرض.
_ كما حاولت قتل أبي. ها أنت تعترف أخيراً.
_ أنت هنا تأخذ بثأره.. كل ألعابك هذه لتنتقم مني.
_ بل لترى بعينيك نتيجة فسادك وفجورك.
_ حسناً.. أرني عصر السلطان "أكبر". سترى زندقة أبيك
وأمثاله.
_ بل سترى فسقك ودناسة سياستك ووضاعه تصرفاتك.
_ الموت أفضل من المجادلة معك.
وجاء الصوت الأجوف:
"ممر لاكتي.. الكرة الأرضية.. عصر السلطان "أكبر".
وهلل "أبو الفضل":
_ يا للعلم.
وتنفس "بادوني":
_ يا الله.. سبحان الله.

* * *

في الميلاد

”الإنسان لا يولد حراً.. أبداً.“

صرخ "بادوني" بغضب في الآلة:
_السلطان "أكبر".. "أكبر" ابن "هومين"، "أكبر"
إمبراطور الهند.

وأضاءت الشاشة القمرية.. وظهر حيوان منوي بعد رعشة
المتعة ينطلق كالمجنون، يسابق الحيوانات الأخرى التي
تهز ذيولها حوله كالأسماك الصغيرة، الكل يتسابق نحو
بويضة "حميدة باني بيجوم". يصل إليها قبل الآخرين، تتلقفه
بشغف وتغلق جدرانها عن الآخرين.

الخلايا تتفاعل، تُبَثَّ فيها الحياة، تتقاسم، تتشعب،
تتنامى، يظهر القلب والأوعية، الشرايين والأعضاء البشرية،
تسعة أشهر بعدها تصرخ حميدة من الألم:

_ أبداً لن يأتي إلى الحياة عبداً.
ووصيفاتها حولها يصرخن بنفوس واحد:
_ هيا يا إمبراطورة تشجعي..
_ الأمر ليس بيدك.. حان الوقت.
_ يجب أن يخرج.. يجب أن يأتي إلى الدنيا.
وخارج الحجرة يصرخ عسكري:

_ هيا يا زوجة أخي.. إليّ بالفريسة
وخارج أسوار المدينة يصرخ الأب:
_ لن يولد ابني أسيراً.
لنحرر كابول قبل أن يُؤلّد.
صوبوا المدافع على قلاع المدينة.
والعم يقول بصوت عالٍ خلف الأسوار:
_ سأضع رضيعك يا أخي فوق الأسوار.
ستقتله إن لم تكف عن قذف المدينة.
وحميدة تصرخ:
_ لن يخرج من أحشائي حتى يُحرّر أبوه كابول.
وترد الوصيفات:
_ ولكنه لا بد أن يخرج.. لا بد أن يخرج.
_ ادفعي يا سيدتي.. ادفعي.
_ تنفسي يا سيدتي.. تنفسي.
يهرع الجنود حولهن وسط القنابل المتساقطة.
ويظهر "أكبر" .. ولد.. المولود ولد.. المولود ذكر.
يهلل العم كالنمر المتربص:
_ إليّ بمولودك يا امرأة أخي.
يخطف الطفل بلفافئه ، يرفعه على الأسوار الكحيلة وهو
بيكي..
تكف المدافع عن دكها.
يصرخ الإمبراطور هوماين في حالة جنون:
_ كفوا عن القذف.. لن أقتل ابني.. سنحرر كابول..

سنحرر كابول.. سيكون اسمه "أكبر".. السلطان
"أكبر". لعنة الله عليك يا أخي، أفسدت عليّ فرحة
الأبوة.. يا لك من حاقِدٍ شرير، لماذا تتآمر عليّ ؟
وتصرخ الأم في هستيريا :

_ لعنة الله على الرجال ، اللعنة على السلطة والجاه والمال.
أين ابني؟ إليّ بمولودي، أريد لمسه وتقيله، أريد أن
أضمه إلى صدري وأحتضنه.

ويدخل العم ويضع الرضيع في حضنها قائلاً:
_ لا تغضبي يا امرأة أخي.

كف زوجك عن قصف كابول.. عاد إلى العقل.. انسحب
بجيوشه.. كابول لي.. كابول لي.

_ يا لك من حقير، ستدفع ثمن خيانتك، ستدفع ثمن
تآمرك على أخيك.

_ كابول لي.. كابول لي.

_ لن يهدأ لي بال حتى أنتقم منك لفعلتك الشنيعة ،
"هومارين" سيقطعك أرباً. لن يغفر لك أبداً.

_ مهلاً يا زوجة الأخ، لقد رددتُ إليك مولودك.. وكنت
أستطيع الاحتفاظ به كرهينة.. لماذا لا تقنعي زوجك
أن يعلنني ملكاً على كابول؟ إمبراطوريته واسعة
ممتدة.. وأنا أخوه.

_ بئس الإخوة.. كنت ذراعه الأيمن ، كيف تنقلب عليه؟
لماذا كل هذا القتال؟

_ هذا سؤال غريب حقاً يا زوجة أخي.. حقاً لماذا كل

هذا القتال؟

_ سئمتُ من منظر الدماء والخراب.. سأرَّبِّي ابني هذا
لينشر الحُب والسلام، ليكون رسول المحبة والتسامح
على أرض الهند.. أباؤه وأجداده عاشوا في حروب..
سيكون عظيمًا كأبيه.

_ السلطان العظيم لا يكف عن الحروب.. والحروب قتالٌ
ومجازر.

_ أخرج ولا تلمس ابني مرة أخرى.

_ وهل يترك النمر فريسته؟ قد يلعب معها قبل اقتراسها.
_ يا لك من متوحش.

_ هذه طبيعته فُطر عليها.. أذنبه أنه نمر؟

_ حتى الحيوانات المفترسة لا تقتل حُبًا في القتل، لقد
فقتم يا أهل المغول الحيوانات توحشًا.. أنتم عارٌ على
الجنس البشري.. عارٌ على البشرية.

_ لقد غزونا بلادكم بقوتنا وتفوقنا.

_ ما لك يا بدو المراعي بالهند وفارس؟ ما أنتم إلا رَحالة
تنهبون وتسرقون خيرات غيركم من الشعوب الراقية
المتحضرة.

_ ولكنك بذلك تهينين زوجك نفسه.

_ زوجي لم يعد ينتمي لجنسكم المتوحش بشيء.. القراءة
غيرت معدنه.. الثقافة سمت بروحه إلى سماوات شفافة
لا يدركها جاهلٌ حقيرٌ مثلك.

_ هذه إهانة للعائلة الإمبراطورية كلها.

_ أفسدتُ عليَّ أعز لحظة في حياة الأم وأنبلها.. لحظة ميلاد وليدها الأول ، لحظة خلق الحياة ، معجزة الوجود .
_ آسفٌ لكل ذلك ، لو كان أخي ترك لي كابول..
_ كفى ، لم يعد "هومين" أخاً لك ، فعلتك الشنيعة لا تُغفر .
_ لو كان ترك لي كابول..

_ الخيانة والمؤامرات معهودة في أوساطكم ، أما خطف مولود وتهديد حياته فهذا شيءٌ فظيع لا يُقدم عليه إلا نفس شريرة دنيئة خالية من أي مشاعر إنسانية..
"هومين" سيمزقك إرباً.

_ يا امرأة أخي ، سأتركك ترحلين مُعززة مُكرّمة حتى تقنعيه بالكف عن مهاجمة كابول.. وما حاجته لكابول؟
_ ستندم على فعلتك الشنيعة ، اسمك عسكري ولكن لا تستحق حتى لقب حيوان.. ما أنت إلا وحش كاسر على هيئة إنسان ، وحشٌ خال من المشاعر الإنسانية.

_ ولكننا عائلة واحدة ، لماذا لا نتقاسم الهند؟
_ عُد إلى صحرائك الجرداء ، ليس لك مكان في مجتمع متحضر كالهند.. عُد لتتم في الخيام ، في العراء مع الإبل والكلاب ، بلاط فارس ولغتها الراقية لم تُخلق لأمثالك.
_ ولكنك توجيهن الإهانة إلى زوجك نفسه.

_ زوجي تبني الحضارة والإنسانية.. ابتعد عن الهمجية والبربرية.

_ ولكنه إمبراطور مغولي.
_ نعم.. وقد أصبح هندياً متحضرًا ، طلب يدي من أبي بكل أدب وتقدير.. ولم يخطفني أو يغتصبني عنوة

- كما تفعلون مع نساء الهند.. عاملني كإنسانة وهو
الإمبراطور العظيم وأنتم تعاملون نساءكم كالجواري.
_ كان من حقه أن يطلبك بالأمر.
- _ لكنه لم يفعل، وهذا ما أعلى من شأنه لدي.. كيف يُجبر
رجل امرأة على معاشرته؟ هذه عبودية.. حتى الكلاب
تتطلب وتتلقف نظرات الحُب والاهتمام من أسيادها.
- _ الرجال قوامون على النساء.
- _ ويلي.. لماذا أتحدث معك، اذهب يا عسكري فليس
في مقدورك أن تفهم أي مشاعر إنسانية.. أنت مخلوق
لتقاتل وتغزو وتتهب وتسرق.. أنتم زبالة التاريخ.
- _ لقد تعديت كل الحدود.. بيدي قتلك يا امرأة.
- _ زبالة التاريخ، وصمة عار في تاريخ البشرية، ولكن
الهند بعظمتها، وفارس برقيها، ستبتلعكم كما
ابتلعت غيركم من الغازين الحُفاة.
- _ التاريخ.. سيذكرنا التاريخ بكل فخر.
- _ ربما.. إذا نجحت في تربية ابني تربية راقية تجعله يمحو
فضائع قومك ومجازرهم، إن كان أبوه قد أصبح ذواقه
للشعر الفارسي فابنه سيكون عالماً عظيماً يُمجّد
الفن والأدب والموسيقى بدلاً من القتل والذبح والدماء.
- _ أنت حالمة.. "هومايين" حالمٌ مثلك.. الحكم والسلطة
ستجبره على خوض المعارك وسفك الدماء.
- _ هذه أشياء لا يستطيع أمثالك أن يفهمها.
- _ الدم المغولي يجري في عروقه كما يجري في عروق

أبيه ، حُب الحكم وطبيعة السلطة ستجبره على سحق
الهنود لإخضاعهم.

__ بل سيحكم الهند كأمير هندي محبوب ومُبجَّل
من الهنود ، سيكون إمبراطورًا ذواقًا لشعر فارس
وحضارتها الراقية.

__ يا "حميدة باني بيجوم" ، يا سليلة الفُرس ، إذا فعل
ذلك سيقوم عليه المُسلمون ، سيعيدونه إلى الإسلام ،
سيدُكرونه أنه حفيد "تيمورلنك" الجبار ، سيجبرونه
على سحق الهنود.

__ حُلُمي أن يوفق بينهم ليعيش الكل في وفاق.

__ أنتِ فعلاً حاملة يا زوجة أخي.

__ اذهب بعيداً عنى يا عسكري ، سأربي ابني هذا حتى
يُصبح إمبراطوراً للجميع ، لا فرق بين مُسلم وهندوسي ،
إن حُكم الهند بعد أبيه سيكون إمبراطوراً للتسامح
والمحبة ، سيكون إمبراطور الحُب والأمان. للحياة
قدسيته وأنت دنست قُدس الأقداس ، دنست بوجودك
وفعلتك الحقيمة لحظة الميلاد ، لحظة بزوغ الحياة ،
تفتح الزهور ، شروق الشمس ، خروج الفراشة من
شرنقتها. أسمعت صراخه وبكاءه يا عسكري؟ إنها
صرخة الحياة ، توسل الضعيف ، هل رأيت نظرتة البريئة
يتساءل: أين أنا؟ ألم تشعر أنه بحاجة إليك ، بنظرته
يناديك لتحميه وتربيته وتعلمه وتجعله رجلاً يحميك
يومًا ما ويحنو على شيخوختك.. اذهب يا عسكري..
يا حفيد الصحراء القاحلة ، اذهب فلا مكان لك في

هذه الغرفة.

- _ حَقًّا.. أَخِي مَجْنُونٌ لِيَتَزَوَّجَ مِنْ امْرَأَةٍ مِثْلِكَ.
- _ اذْهَبْ لَتَقْتُلَ وَتُدْمِرَ وَتَسْرِقَ وَتَنْهَبَ.. سَتُدْفَعُ الثَّمَنَ يَوْمًا مَا.
- _ لَوْ لَمْ تَكُنْ امْرَأَةً أَخِي لَقَطَعْتُ لِسَانَكَ بِيَدِي هَذِهِ،
- سَأَذْهَبُ لِأَنْنِي لَوْ مَكَثْتُ فِي حَضْرَتِكَ سَاعَةً أُخْرَى
- سَأُصَابُ بِالْجَنُونِ. كَيْفَ يَعْيشُ هَؤُلَاءِ الْفُرسُ مَعَ
- أَمْثَالِكَ مِنَ النِّسَاءِ؟
- _ الْإِنْسَانُ الْمُتَحَضِّرُ يَحَاوِلُ الْفَهْمَ، وَلَكِنْكَ لَا تَحَاوِلُ،
- يَحَاوِلُ التَّفَاهُمَ وَأَنْتِ تَفْضُلُ قَطْعَ اللِّسَانِ.. اذْهَبِي.
- _ سَأُجْنُ لَوْ بَقِيتِ سَاعَةً أُخْرَى.
- _ اذْهَبِي وَالْقَافِ بِنَفْسِكَ تَحْتَ أَقْدَامِ أَخِيكَ عَلَيْهِ يَغْفِرُ لَكَ
- فَعِلَتِكَ الشَّنِيعَةَ.
- _ أَنَا.. أَنَا سَيِّدُ كَابُولَ، كُلُّ أَجْدَادِي الْعِظَمَاءُ بَدَأُوا
- الْإِمْبَرَاطُورِيَّاتِ الْعَظِيمَةَ بِالسَّيْطَرَةِ عَلَى مَقَاطِعِ مَا.. أَنَا
- سَيِّدُ كَابُولَ.
- _ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَعَلَى حُبِّ السُّلْطَةِ.
- _ إِلَيَّ بِرَضِيعِي يَدْفِئُ حَضَنِي.
- يَا بَنِي لَنْ تَكُونَ أَبَدًا عَبْدًا لِحُبِّ السُّلْطَةِ.
- سَأُحَرِّرُكَ مِنْ أَرَثِ أَجْدَادِكَ الْعَفْنِ.
- سَأُجْعَلُ مِنْكَ إِنْسَانًا رَاقِيًا مُتَحَضِّرًا،
- سَأُرَبِّيكَ حَتَّى تُقَرِّبَ بَيْنَ الْأَدْيَانِ وَتُحِبَّهَا كُلَّهَا،
- سَأُسَقِّيكَ حُبَّ الْحَيَاةِ وَتُقَدِّسَهَا.
- سَأُزْرِعُ فِيكَ حُبَّ التَّفَاهُمِ وَالتَّسَامُحِ.
- سَأُخْرِجُ مِنْكَ أَفْضَلَ مَا فِي الْبَشَرِيَّةِ.

سأدربك على العيش الوقور والعِفة.
سأبعدُ عنك الترف والزخرف البراق الزائف.
سأقتل فيك حُب الشهوات والملذات.
سأنمي فيك حُب العلم والمعرفة.
سأجعلك ذواقاً للجمال والفن والآداب.
وسأرهف أذنيك لسماع الموسيقى.
حقاً.. لقد وُلِدْتُ عبداً يا ولدي.
ولكنك بالعلم والمعرفة ستصبح حراً ، طليقاً.
وهنا صاح "بادوني":
_ هذه الفارسية هي أصل البلاء.
ورد عليه "أبو الفضل" بهدوء:
_ بل هي الخلاص.
_ الأم هي الأمل.
_ لو كان "هومين" طلبها بالقوة كغيرها من النساء لما
علا شأنها.. لقد هدمت الإسلام.
_ بل لو حققت حُلُمها لما ضاعت الهند.
_ لو..
_ لو..

* * *

في الميلاد الثاني

”بدون خلاص لا تحصل مغفرة.“

السلطان "أكبر" فوق حصانه.. الحاشية المُقرَّبة تحيط به، فِرْق الأمن تقطع الأشجار وتُبْعِد الحيوانات المفترسة عن الطريق، ترش الأزهار تحت أقدام حصانه قبل مقدمه.. فِرْق أخرى تُعِد أوراق الشجر قبل وصوله، تحصي طيور الغابة قبل حلول مطلع البهي، تجفف الطُرق وتمهداها، يمر الموكب وسط الغابة في سلاسة وهدوء.

وفجأة يسقط "أكبر" عن حصانه ويفقد وعيه. لحظات مرت كالدهر، الكل يحيط به لإعادته إلى الحياة. حين عاد كانت نظراته غريبة حالمة. أبعدهم وطلب الجلوس تحت جذع شجرة عملاقة.. وسكتت الدنيا من حوله. أين هو؟ من هو؟ الكل يمر من أمامه ساجداً مُقدِّماً ولاء الطاعة متمنياً طول العمر.

هو "أكبر"، ابن "هومين"، ملك ملوك سلاطين المغول. هو مُوحد الهند، صاحب الإمبراطورية التي سادت على بقاع الأرض حتى امتدت إلى السماء. قال لنفسه:

— "لقد أصبحتُ أمتلك العالم وما به، الكل يسجد لي

أينما حللتُ، الكل رهن إشارتي، خزائني ممتلئة بالأموال
والمجوهرات، الذهب يملأ حجرات القصر، تاجي مُرصعٌ
بماسات ثمنها يُسير جيوش عارمةً.

وسمعتَه الحاشية يقول:

_ ولكن ما فائدة كل ذلك؟ ما فائدة كل ذلك؟
خُيِّلَ إليه أنه فارق.. ثم عاد من عوالم غامضة لا يدري تحت
الأرض كانت أم في السماء.

جالسًا تحت جذع الشجرة وقواده حوله كالعمالقة..
رؤوسهم تمتد نحو السماء... وهو.. من هو؟ وما ثمنه؟ تأمل
جسده وقدم فيل يدهسه كحبة جوز هند، مَكُومٌ تحت
الشجرة كحشرةٍ حقيرة تُداس بالأقدام. حياته.. إنه مهددٌ
بالموت في كل لحظة، هبة نمر مفترس، لدغة ثعبان، لمسة
رُمح مسموم من خادم مدسوس، سهمٌ عدو يأتي من السماء،
الموت حوله وفي كل مكان. هل يستطيع شراء حياته بكل
ما يملك من سلطانٍ وأموال؟ رأى أمامه النار وعذابها، بماذا
تتفع الحُجرات المكتظة بالكنوز؟ كل هذه الممالك
والألقاب والنياشين، كل هذه العروش التي يجلس عليها،
كل هذا الخلق الذي يحيا بفضلِه ويموت بإشارةٍ منه.. وهل
بعد الروح روح؟ إنها الحياة يجب أن نقدها..

وصاح وهو ينظر إليهم:

_ يا الله.. يا ملطف.. يا قادر

وارتفعت الدعوات تحمداً ونجاةً وتمجيداً لسلطانه، أبعدهم
طالباً لـ "أبي الفضل" الذي مثَّل بين يديه ناشداً:

_ يا إلهي أنا في عثرتي أرتجي عفوك ورضاك
 وفي ذلتي أبتغي رحمتك وفداك،
 ولن أفعل كسائر الناس فأحتمي بهذا وذاك،
 وليس من حام ولا واقٍ في العالمين سواك.
 كادت الدموع تفر من عينيه قائلاً:
 _ أنت الوحيد القادر على إخراج مكنون نفسي، كأنك
 التقتت الكلمات من شفتي.. أين نحن؟
 _ نحن في طريقنا لتأديب "محمد حكيم" يا مولاي.
 _ "محمد حكيم"، أخي.. شقيق روحي، هذا العاق
 الخارج عن طوعي، أخي الذي يتمرد ويعصي أوامري..
 أخي الذي يتآمر ضدي مع أعدائي.. يا ويلي.
 _ للأسف يا مولاي إنه يهدد حياتك.
 _ لنصفح عنه.. نسامحه.. العمر قصير.. هذه الدنيا لا
 تدوم لأحد.
 _ لقد فر يا مولاي حين علم بقدوم حملتك.
 _ العمر قصير، لنحب الآخرين حتى يحبونا.. لننتقم
 الآخر بضعفه ودنائه.. يا الله.. لنكف عن القتال.
 _ سمو روحك فاقت الحدود يا مولاي.
 _ لنعضو عنه، أبلغوه بعضوي، ليأتي إليّ مُعتذراً، أبلغوه
 بحُبي له، لنعيش جميعاً في محبةٍ وسلام.
 وصاح بقواده:
 _ كفوا عن القتل.. كفوا عن الصيد.. أطلقوا سراح
 الحيوانات.. كل مخلوقات الله لها الحق في الحياة..

الحياة مقدسة للإنسان والحيوان.. ما أعطاه الله لا ينتزعه الإنسان.

يا لها من سقطّة أراد بها الحق أن ندرك مشيئته ونوره.. يا ستّار.. يا قادر.. كنا على خطإ.. والسقطّة أزالَت الغشاء عن عيوننا ، لقد رأيت الله وهداني سبحانه تعالى ، انظروا إلى هذه الغزالة التي أسرّتها بنفسي ، انظروا إلى نظراتها المتوسّلة ، دعوني أطلق سراحها بنفسي ، لأول مرة في حياتي أشعر بفعل الخير.. يا الله.. يا قادر.. جاءني نذيرٌ من رب العالمين.
وقال "أبو الفضل" :

_كأنك يا مولاي كالأمير الشحاذ "إبراهيم بن أدهم" الذي خرج للصيد وحين حرك فرسه تجاه أرنب بري يسمع وراءه صوتاً يقول: "ليس لهذا خلقت، ولا بهذا أُمِرت" فكف عن الصيد أبداً.. وعاش تقياً روحانياً.
وصاح "أكبر" :

_يا مدد.. ما سر هذه القوة الغريبة التي تهبط عليّ وتتملكني.
ورد "أبو الفضل" :

_ إنه التجلي يا مولاي ، لقد رأيت الله بالقلب ، لقد أشرق نور الحق في نفسك وأنوار الهداية ملأت قلبك.. بل لعلها المكاشفة.. مكاشفة القلوب بالاتصال ، لقد كشف لك الله عز وجل ما يستتر على الفهم فكأنك رأيته رأي العين.
_حقاً أشعر بالامتلاء بشعور فياض وسعادة عارمة.. بدأت أفهم احترام الهنود للحيوانات وتقديسهم لكل من

تدب فيه روح من نبات وحشرات.

_ العليّ القدير حلّ بنعمته على مولاي.

_ أرى الكون كله يتفتح أمامي، روعي تصعدُ للسماء
ثم تهبط لتشمل العالم كله، أنا مخلوقات الأرض
جميعها، أنا حيوانات الغابة وطيورها، أنا أشجار
الأرض وثمارها، أنا الهواء والماء، ومن يدي تخرج
النيران، ليتمتع الخلق بأرضي ومائي وهوائي، من اليوم
من اصطاد حيواناً قتلني، من أكل اللحم افترسني،
أطلقوا سراح الحيوانات، دعوها تعيش في سلام.. يا
هادي الطف بأحوالنا، أصلح من خلقنا، ودبر أمرنا،
أنقذنا من ملذات الدنيا وعجل لنا بالآخرة.

وصاح "أبو الفضل":

_ إنها المكاشفة يا مولاي.. إنها المكاشفة.

_ من اليوم أمتنع عن اقتراب الحريم، أمتنع عن شرب الخمر،
أمتنع عن إزهاق أي روح تعيش، سأكرس حياتي في حب
الله وعبادته، في فهم الكون والبحث عن حقيقته.

وصاح "أبو الفضل":

_ إنه التجليّ، هذه علامات التجليّ الثاني، علامات نزول
الحق.

_ بل هو فضلٌ من عند الله.. التسامح.. العبادة سلوك،
المُسلم لا بُد أن يكون قدوة، هكذا نستميل القلوب
ونُحبب الأمم الأخرى في الإسلام.. لنعط القدوة، لنكف
عن الكراهية والحقد والقتال.. كفانا حروب ومؤامرات.

وجمع حوله القادة قائلاً:

_ حين عودتنا سأوزع الأموال على الفقراء ، لينعم الجميع
بحياة هانئة كريمة.

وصاح الجميع:

_ حسناً يا مولاي.. يعيش مولاي.

_ لتُوزع الهبات على الفقهاء ورجال العلم والأدب وأهل
الفن ، لتتوسع في دراسة الأديان المختلفة ، ليأت
الهندوس والنصارى ، اليهود والزرادشت إليّ ، لتظهر
الحقيقة ونحاول توحيد الأديان حتى يحترم الإنسان
أخاه الإنسان من كل معتقدٍ ودين.

وهنا صاح "أبو الفضل":

_ ملك الإسلام ، أمير المؤمنين ، ظل الله على الأرض ،
"أبو الفتوح جلال الدين محمد" أكبر "بادي شاه غازي" ،
لقد ولدتُ الولادة الثانية وحل عليك نور الرحمن.

اشتاط "بادوني" غضباً وضغط على "زر" صارخاً:

_ يا للنفاق.. يا لك من شيطان.. ما هذه الولادة الثانية؟

ورد "أبو الفضل" وهو يوقف الأحداث على الشاشة:

_ هي خلاص الروح ، وعند النصارى بدونها لا تحصل
مغفرة ، الميلاد الأول يحدث لجميع المخلوقات ، أما
الميلاد الثاني فيناله من تاب وآمن وخلصت روحه.

_ ما هي إلا أزمة روحية.. عندما تتمكن الروحانيات من
النفس يشط العقل.. السقطة أحدثت لديه أزمة.

_ بل هي جذبة قوية نحو الله لا يفسرها العقل.

— غيري سيُطلق عليها أزمة صَرْع أو نوبة هستيرية وهي تحدث عادةً في منتصف الثلاثينيات من العمر كما كان الحال مع "بوذا" و"يسوع المسيح" والقديس "أغسطس" وغيرهم كثيرون، ممن يتمتع لساني عن ذكرهم.
— يا شيخ.. الخلاص والتجلي لا ينوله إلا قلة قليلة من الورعين الأتقياء.

— بل هو الصرع، مرض العظماء، حتى أخناتون فرعون مصر قرر إعادة النظر في عبادة الآلهة في الرابعة والثلاثين من عمره.

— الخلاص هو خلاص النفس البشرية من خطاياها، إيمانها بربها الخالق الأوحد، التوبة الصادقة الخلوص. ودق على الآلة بكلمة الخلاص.

ظهر على الشاشة قس إنجيلي يعظ الناس ويحضهم على تخليص نفوسهم من الخطيئة وترك الروح القدس يحل بهم.. يطهر نفوسهم صائحاً:

— اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسو قلوبكم، بدون خلاص أنتم هالكون، في نار جهنم ذاهبون، من لم يُولد الولادة الثانية لن يعرف ملكوت السموات. وتبدأ الجماهير في الترنيم والرقص.

وفي جمعية خلاص النفوس بأسبوط يترنم المئات:

يا مهمل الخلاص	لبّ الحمل
ويلك من قصاص	لا يُحتمل
فموعدُ الحسابِ دانٍ قريب	
فاهربُ من العقابِ	إلى الحبيب

وفي جمعية شبرا يترنمون:

قل لي متى تتوب	أيها الخاطئ المٌؤجل
على وشك الغروب	شمس عمرك قد أضحت
من أهم الواجبات	إنما أمر الخلاص
هلكت بعد الممات	فإذا لم تخلص

وفي طنطا يترنمون:

يسوع أعطاني	خلاصٌ مجاني
أزال آلامي	طهر آثامي
بدمه شراني	مات وأحياني
فقيرٌ وأغنائي	عبدٌ وحررني
	وصاح "بادوني":

_ هذا خروج عن الإسلام، هذا تجاهل لتعاليم الإسلام.

_ بل هو باحثٌ عن الحقيقة.

_ عما يبحث.. وكل شيء في القرآن.

_ القرآن أمر بالعلم.. اقرأ.

_ بل شط عقله وفقد إيمانه.

_ يا رجل، إن إيمانه الواسع العميق هو الذي فتح أمامه

طاقة روحية سامية تريد استيعاب الأديان كلها بل

الإنسانية جمعاء.

_ هو من الفاسقين المشككين بالإسلام.

_ يا شيخ.. الفاسق لا يدعو للتسامح والتوفيق بين الملل..

وأنت ألا تقلق نفسك من كل هذه الحروب بين السنة

والشيعة، بين الفرس والأتراك، بين الهنود والأفغان..

وكلهم مسلمون.. لقد وجد هدفًا ساميًا لحياته لا يعلو

عليه هدف.

- _ لو نشر الإسلام بالقوة لعاشت الهند في سلام.
- _ لو نشر التسامح لعاشت الشعوب في سلام.
- _ لو فرض الإسلام بالسيف لعلَّت راياته إلى اليوم.
- _ الإسلام لا يُفرض بقوة السيف.. من شاء..
- _ والفسق لا يُنشر في بلاد المسلمين.
- _ البلاد التي اتبعت فكر التسامح تعيش في سلام ومودة.
- _ لو أصبحوا كلهم مسلمين لساد السلام.
- _ لو..
- _ لو..

* * *

في الحُكم

”الإمبراطور دائماً وأبداً.. وحيداً“.

في الفضاء يبدو كوكب الأرض ككرة زرقاء
بيضاوية، تلف مع شمسها وكواكبها في مجرتها، وكل
مجرة تلف وتدور حول غيرها من المجرات.
يراجع "أبو الفضل" حساباته الفلكية..
ويصرخ "بادوني":

_ كل هذا هراء.. هذا سحر.. من يُصدّق ما يحدث على
شاشة لعينة كهذه؟ هذا سحر.
_ ألم تر نفسك يا رَجُل على هذه الشاشة؟ ألم تر بعينيك
ولادة "أكبر"؟

_ ما أنت إلا ساحر داهية تلعب بعقلي.. أرني شيئاً مُقنعاً..
الكون واسع والعمر محدود.. أرني حدثاً عايشته،
حدثاً غير مسار التاريخ، ضياع "دلهي".. كيف ضاعت
"دلهي"؟ كيف عادت سيطرة الهنود؟ هذا لغز الألغاز.
ورد "أبو الفضل" بهدوء:

_ أما زلت مُهتماً بهذه التفاهات التي حدثت على الأرض؟
_ ولكنها حياتنا، قدرنا.
_ حياتك انتهت منذ قرون.. وما زِلْتَ بهناتك وضعفك.. يا

لك من إنسانٍ حقير.

_ويا لك من شيطان.. أرني كيف تحكمت أنت وأبوك
في عقل "أكبر".. أرني الهند.. هل صحيح أن "بيرمان
خان" أضع "دلهي"؟ لماذا انقلب عليه "أكبر" وهو في
منزلة والده؟

وصاح في وجه الآلة: الهند.. الهند.. الكرة الأرضية..
المجموعة الشمسية. ممر "لاكتي".

وترد الآلة ببرود: كوكب الأرض.. بداية القرن العشرين..
حربٌ كونية بين روسيا واليابان وألمانيا وفرنسا
وإنجلترا.. ملايين القتلى.. منتصف القرن العشرين..
حربٌ كونية بين ألمانيا وإيطاليا واليابان من جهة..
وإنجلترا وفرنسا وأمريكا من جهة أخرى.. ملايين
القتلى.. نهاية الحرب..

وصاح "بادوني": الهند.. الهند.

وتابعت الآلة ببرود: نهاية الحرب.. تقسيم الهند.. ظهور
دولة باكستان.

الهندوس يهربون من المناطق ذات الأغلبية المسلمة..
والمسلمون ينزحون من المناطق الهندوسية.. الملايين تهاجر
وتتحرك في نفس الوقت وفي جميع الاتجاهات.. مذابح
وتقاتل بين الفريقين.. القتلى والمشردون بالملايين.
صاح "بادوني":

_ هذا هراء.. هذا هراء.. لا توجد دولة باسم باكستان.

وصاح في وجه الآلة مرة أخرى:

_ الهند.. سقوط "دلهي" .. عصر السلطان "أكبر".
 ويظهر بلاط "أكبر" والحاجب يصيح:
 _ سقوط "دلهي" .. هايمي الهندي يسيطر على "دلهي".
 "بيرمان خان": يا للمصيبة.. "دلهي" تضع مرة أخرى.
 "أكبر": لا تقلق.. سنحررها.
 "بيرمان خان": صدق حدسي. لم أثق أبداً في "تاردي بيچ".
 "أكبر": لكن كفاءته معروفة.. لقد تركناه بقوات محدودة.
 "بيرمان خان": "دلهي" تسقط.. مؤامرات الأفغاني "عديل
 شاه" لا تتوقف، الأطراف تخرج عن طوعنا..
 المجاعة في الداخل تحول الأهالي إلى وحوش
 كاسرة يأكل بعضها بعضاً.. الإمبراطورية في
 خطر يا مولاي.. يجب الضرب بيد من حديد.
 "أكبر": هؤلاء الأفغان.. لماذا يحاربوننا؟ أليسوا مسلمين
 مثلنا؟
 "بيرمان خان": تحالفهم مع الهنود سيكسر شوكة
 الإسلام في الهند.
 "أكبر": عجباً! لماذا يتحالف المسلم مع الهندي ضد
 أخيه المسلم؟ لماذا؟
 "بيرمان خان": أشك في انضمام "تاردي بيچ" إلى عُصبتهم..
 رائحة الخيانة تفوح من سقوط "دلهي".
 "أكبر": يا "بابا خان". ثقني في "تاردي بيچ" كبيرة. لولا
 المجاعة لكنا أرسلنا له قوات أكثر.
 "بيرمان خان": لا أطمئن إليه.. ليتني بقيت بنفسي لأدافع
 عن "دلهي".

"أكبر": بل ثقتي به هي نفس ثقتي بك.
"بيرمان خان": لن أهدأ يا مولاي إلا وأنت سيدٌ على الهند
كلها.

"أكبر": خدماتك وولائك لأبي لا حدود لها.. بفضلك استرد
عرشه.. بخبراتك الواسعة تُدار الإمبراطورية..
سأحافظ على عهد أبي العظيم "هومين" وأزوجك من
ابنة عمي بعد استرداد "دهلي".. ستصبح من العائلة.
"بيرمان خان": هذا كرمٌ يا مولاي.. لا أفعل إلا واجبي
الذي يمليه عليّ ضميري.. لكن قلبي غير مرتاح
لـ"تاردي بيچ"، أضع اللعين "دهلي".. "دهلي" جوهرة
المملكة ودرة المدن.

"أكبر": سنعرف قريباً تفاصيل المعركة.
"بيرمان": لقد أضع "دهلي".
"أكبر": انتظر حتى نستمع إليه.. استدعوه.
ويُعلن الحاجب دخول "تاردي بيچ" ويصيح "بيرمان خان":
_ جردوه من سلاحه فلا أمان له.
يدخل "تاردي" ويسجد أمام "أكبر" قائلاً:
_ خسارة كبيرة يا مولاي.. سقطت "دهلي" في أيدي الهنود.
"أكبر": كيف حدث ذلك؟

"تاردي بيچ": قبل محاصرتهم للمدينة قررتُ الخروج
لمقاتلتهم رغم قواني القليلة. وحدثت الكارثة.
"أكبر": قرار شجاع من قائد متمكن.. لم تختبئ كالنار
الجبان خلف أسوار المدينة.

"برمان خان": ولكنه قرار حربي خاطئ يا مولاي.. قرار أدى إلى كارثة عسكرية تهدد وجودنا كله.

"تاردي بيچ": قاتلنا بشراسة وأوقعنا بهم خسائر فادحة.

"بيرمان": هذا تهور وخيانة للأمانة.. كان يجب انتظار وصول التعزيزات بدلاً من ترك المدينة بلا حماية.

"تاردي بيچ": بل انهزمنا يا مولاي لانسحاب "بيير محمد" في لحظة حاسمة من المعركة.

"بيرمان" (بجنون): اخرس يا حقيير.. "بيير محمد" قائد شجاع وانتصاراته معروفة للجميع.

"تاردي بيچ": ولكنه انسحب..

"بيرمان خان": بل قراراتك كلها خاطئة وكارثية.. شبه خيانة تحوم حول كل الأمور والأحداث.

وفي غفلة استل سيفه وأطاح براس "تاردي بيچ" صائحاً:

— الموت للقائد المنهزم.. الموت للخائن.

"أكبر": ويحك.. لقد قتلته.. فصلت رأسه أمامي.

"بيرمان خان": تصرفتُ حسب ولائي للعرش يا مولاي.

"أكبر": قتلته أمامي.

"بيرمان خان": هذا الملعون كل تصرفاته سيئة وحساباته خاطئة.. قراراته أدت إلى كارثة.

"أكبر": ولكنك قتلته.

"بيرمان خان": عفوك عن هذا المهزوم سيقوض أركان الإمبراطورية.. لو كان قد خرج من هنا حراً لكانت نهاية عرش مولاي.

"أكبر": ولكنك فصلت رأسه عن جسده كمنعجة.
"بيرمان خان": رجوعه للجيش بعد الهزيمة سيهدم معنويات
الجنود.. لن يثق فيه أحد بعد الآن.. سيكون سبباً
للانقسامات والانشقاقات داخل جيش مولاي.
"أكبر": عجباً.. لقد تصرفت بسرعة غريبة.. كأنك
حضرت مسبقاً لكل شيء دون استشارتي.
"بيرمان خان": الموت عقاب المهزوم، يجب تحذير
الجميع، يجب الضرب بيدٍ من حديد وإلا انهارت
الإمبراطورية، تصرفي هذا يا مولاي لخدمة
الإمبراطورية، وعفوك عن هذا المأفون يفتح
الأبواب أمام القادة للخيانة والتساهل، الإمبراطورية
فوق الجميع.. الإمبراطورية فوق الجميع.
"أكبر": اذهب يا "بابا خان" لتحضر الجيوش لاستعادة
دلهي.. لا تضيع وقتاً لغزو دلهي واستردادها.
"بيرمان خان": سأحرر "دلهي" يا مولاي.. وآتيك برأس
"هايمي".. سأصنع لك هرمًا من رؤوس الأعداء
يفوق ما سبقه من الأهرامات.

وبعد خروجه صاح "أكبر":

_ متى تنتهي هذه الحروب؟ متى نكف عن القتل
والاقتتال؟ متى نكف عن قطع الرؤوس؟
وهنا قال الشيخ "مبارك":
_ قمة النفاق.. ولكنه الأقوى.

"أكبر": أين الحقيقة يا شيخ مبارك؟

"مبارك": الحقيقة.. الحقيقة.

"أكبر": الحقيقة معه.. بما أنه الأقوى وبدونه لن نسترد دلهي.

"أبو الفضل": الحقيقة يا مولاي عند "بيير محمد".

"أكبر": ماذا تقول؟

"أبو الفضل": بعد موت "تاردي بيغ" الحقيقة عند "بيير محمد".

"أكبر": ماذا يقول ابنك يا شيخ "مبارك"؟

الشيخ "مبارك": "معه حق.. بيرمان خان" الشيعي يفعل أي شيء للتخلص من نفوذ "تاردي بيغ" السني في جيش مولاي.

"أكبر": أي شيء.. حتى ضياع "دلهي".

"أبو الفضل": هزيمة عسكرية نكراء للتخلص من نفوذ السنة داخل الجيش ثم استرداد "دلهي" لإعلاء أمر الشيعة.

"أكبر": سحابة قاتمة تظلل سمائي.. كيف أدير الإمبراطورية وأقرب الناس إليّ مَنْ يتآمر لمصالحه.. وإن كلف ذلك أرواح الأبرياء.

"أبو الفضل": إنه غيورٌ من كل من اقترب منك.. غير عمياء تدفعه للتخلص من كل من جاورك، غير مرضية تدفعه حتى إلى القتل والتآمر.

"أكبر": لكن خدماته لأبي ولالإمبراطورية لا حدود لها. حُبِّي واحترامي له يفوق كل تصور، إعجابي بقدراته تربط لساني أمامه.. رباني وعلمي، قادني ودربني.

الشيخ "مبارك": هذه هي المشكلة يا مولاي.

"أكبر": بدأ يخرج عن طوعي.. كيف التصرف معه وهو

في مكانة أبي؟

"أبو الفضل": أصالة معدنك يا مولاي هي سبب الصراع داخل نفسك.. قلبك الطيب لا يصدق عقلك الحكيم.
"أكبر": ما زلت لا أصدق أنه أضاع "دلهي" ليتخلص من "تاردي بيچ".

"أبو الفضل": بلاطك صراعٌ بين السُّنة والشيعة يا مولاي.
هناك طريقة واحدة للتأكد مما حدث.

"أكبر": إليّ بها يا ابن الشيخ "مبارك".
"أبو الفضل": يجب إعلاء شأن "بيير محمد".
"أكبر": أتريد مني إعلاء شأن من انسحب من المعركة؟
"أبو الفضل": نعم.. سترى كيف سينقلب عليه سيده..
حينئذ ستظهر الحقيقة.

"أكبر": ابنك هذا داهية يا شيخ "مبارك".
"الشيخ "مبارك"" : حقًا.. إنه ثعلبٌ خبيث.. يا لها من فكرة.
"أكبر": عجيبة هي أمور الحكم.. سأكلف من خان بقيادة جيشي بدلاً من قطع رقبتة ، وأطلب منه تحرير "دلهي" بدلاً من زجه في السجون.
"الشيخ "مبارك"" : معدنك الأصيل يَأبى حقارة الإنسان..
ويتأفف من لوازم الحُكم القذرة ومؤامراته الخسيسة.

"أكبر": شعوري بالجميل نحوه يكبح جماح غضبي.
حان الوقت أن يدرك أنني لم أعد صبيًا.
"أبو الفضل": الإمبراطور دائماً وأبداً وحيد يا مولاي.

"أكبر": لا أريد التعرض لمصير أبي.. مؤمرات ووسائل
وهروب ثم حروب لاسترداد العرش.. استدعوا
"بيرمان خان".

يسجد فور دخوله بين يدي "أكبر" ويطلب أوامره.. يضع
"أكبر" يده فوق رأسه قائلاً:

_لقد جددنا الثقة بك وثبتناك في كل مناصبك.. القوات
كلها تحت أمرك. اذهب لتحرير دلهي.

"بيرمان خان": أعدك برأس هايمي يا مولاي.. ذلك الهندي
الحقير الذي عادانا واتخذ لقب "راجا".. أعدك
ببرج النصر أبنيه بيدي من رؤوس الأعداء.

"أكبر": يا للهول.. متى تكفون عن هذه العادات القبيحة؟
"بيرمان خان": بث الرعب في قلوب الأعداء هو أساس
الاستقرار في المملكة يا مولاي.. الخوف هو
أساس الحكم.

"أكبر": لا تنس أن معركتك ستحدد مصير الإسلام في
الهند كلها.. وجودنا كله متوقف على انتصاراتك.
"بيرمان خان": سمعاً وطاعة يا مولاي.. رأسي فداء لك
كما كان دائماً فداءً لوالدك المعظم "هومين".
"أكبر": ثقني بك بلا حدود يا "باباخان".. في غيابك
الذي قد يطول.. قررنا تعيين "بيير محمد" تلميذك
المخلص ويدك اليميني في منصب صدر الصدور.
انتفض "بيرمان خان" مردداً:

"بيير محمد".. "بيير محمد".. صدر الصدور.

"أكبر": ومن غيره من قوادك يحل محلك أثناء غيابك؟

"بيرمان خان": لديك حق يا مولاي.. إنه قائدٌ شجاع.. خير الاختيار يا مولاي.. عين الصواب يا مولاي.. ويخرج منحني الرأس ونظرات الفرع في عينيه.. وهنا يصرخ "بادوني":

_هل رأيت يا شيطان.. لقد تحكمتما في عقله وقراره.. لقد سيطرت مع أبيك على أمور الحكم.. أفكارك الهدامة ونصائح أبيك المسمومة أفسدت العرش.. ولكن مَنْ خان؟

وصاح في الآلة: "بيير محمد" .. مصير "بيير محمد". عادت الأضواء للشاشة ويظهر "بيير محمد" ساجداً في خشوع بين يدي "أكبر" متوسلاً:

_الرحمة يا مولاي، ما أنا إلا جندي مطيع حمل روحه على أكتافه دفاعاً عن الإمبراطورية. "أكبر": انتصاراتك لا حدود لها.. لكن تعرف أن لا أحد يقف أمام إرادة "بيرمان خان".

"بيير محمد": أضع نفسي تحت حماية مولاي. "أكبر": ولكنك خادمه المطيع وذراعه اليُمْنى.. كيف ولماذا انقلب عليك؟

"بيير محمد": إنه المنصب يا مولاي.. منذ صدور قراركم بتعييني كصدر الصدور ومعاملته قد تغيرت.. لا أنام الليل من خوفي.. أصبحت مُشرّداً.. أنام كل ليلة في مكان مختلف.. لا أثق بأقرب الأقرباء إليّ.

"أكبر": لا أحد يقف أمام "بيرمان خان" .. كلمة أمير الأمراء سارية المفعول في ربوع الإمبراطورية.

"بيير محمد": كلمته سارية بفضلك يا مولاي.. أضع نفسي تحت حماية مولاي.

"أكبر": موافق لكن بشرط.

"بيير محمد": رأسي فداءً لمولاي.

"أكبر": كيف ضاعت دلهي؟ كيف خسرنا المعركة؟

"بيير محمد": كنت أنتظر هذا اليوم.. "بيرمان خان" سيقتلني

في كل الحالات حتى لا أفشي السر.. نعم يا مولاي لقد

انسحبت من المعركة بقواتي حسب تعليمات "بيرمان

خان". كنت مجرد جندي أنفذ أوامر قائدي.

"أكبر": أكان أمراً مباشراً منه؟

"بيير محمد": نعم.. أمرٌ شخصي مباشر لم أدرك عواقبه

وأنا على أرض المعركة.

"أكبر": ألم تدرك يومها أنك تخون "تاردي بيج" وتعرض

جيوشنا للمهلكة؟

"بيير محمد": أدركت يا مولاي أنني أتركه مكشوفاً

أمام أسوار دلهي.. لكنها الأوامر التي تربيت على

إطاعتها دون نقاش _ خاصة _ وأنها كانت صادرة

من أمير الأمراء.

"أكبر": ولكنك قائد عسكري مُحَنِّك.. ألم تفكر في

عواقب الانسحاب في لحظة حاسمة من المعركة؟

"بيير محمد": أدرك يا مولاي خطورة القرار، من يومها ولا

أنام الليل.. أشعر بالعار والخزي.. وأنتقل من مسكن

إلى مخبأ خَوْفاً من بطشه.

"أكبر": إذًا.. لقد أضع دلهي للتخلص من "تاردي بيج"..

وهنا يصبح بطل الإمبراطورية الأوحـد.
"بيير محمد": لذلك يخشى أن أتكلـم.. لقد جُن جنونه
يا مولاي.. لقد طلب مني تسليم أختامي ونياشيني..
وعين شيخ جادي في منصبي وسلمه أختامي.
الشيخ "مبارك": شيخ جادي شيعي وهذه إهانة لقادة
الجيش من السُّنة.
"أكبر": لقد تعدى كل الحدود.. أصبح يتخذ قرارات
خطيرة دون الرجوع إليّ.
الشيخ "مبارك": توازن القوى داخل الجيش بين السُّنة
والشيعة هو العمود الفقري لاستقرار البلاد.
"أكبر": عجيبة هي أمور الحكم.. اليوم الذي أزوجه من
ابنة عمي ليصبح فرداً من عائلتي هو اليوم الذي
أجبر فيه على قطع رأسه.
"أبو الفضل": الإمبراطور دائماً وأبداً وحيداً يا مولاي.
الشيخ "مبارك": حان الوقت ليحمل مولاي لقب "شاهنشاه".
"أبو الفضل": الإمبراطور دائماً وأبداً وحيداً يا مولاي.
"أكبر": اليوم لا بد أن يُدرك أنني لم أعد صبيّاً.. لنذهب
إلى "دلهي".. هناك استدعوا كل القادة والأمراء
لنعلن غضبنا على "بيرمان خان".. عجيبة هي أمور
الحكم، وداعاً "بابا خان"، معك سأظل طفلاً
وبدونك سأصبح رجلاً.. مات أبي "هومايـن" وها أنا
أقتل أبي الثاني.. ويلي.. كيف أبحث عن التسامح في
مملكتي وأنا أقتل من رباني.. كيف أدعو للحكمة
والمحبة في مملكتي وأنا أتتكر للجميل لمن دافع

عن أبي وحماني؟ لعنة الله على الحُكم والسلطة.
الشيخ "مبارك": معدنك الأصل يا مولاي هو من يمنعك
من عمل ما لا بد عمله في دهاليز الحكم القذرة.
"أبو الفضل": هذه علامة النضج والحكمة يا مولاي..
سلطانك يفرض عليك تصرفات وقرارات ترفضها
نفسك السامية وأخلاقك الحميدة.

الشيخ "مبارك": مصلحة الإمبراطورية فوق كل الاعتبارات.
"أبو الفضل": حقًا.. جهاد النفس هو الجهاد الحق.
الشيخ "مبارك": جهاد النفس هو أعلى مراتب الجهاد.
وصاح "بادوني":

_ لقد تحكمتما به ، أصبح العوبة في أيديكم ، صار يفعل
كل ما تطلبون ، صار أداة لتنفيذ مخططاتكم لهدم الإسلام.
ورد "أبو الفضل":

_ بفضلته وحكمته ساد الإسلام في ربوع الهند.
_ لولاكم لساد الإسلام وتمكن من كل الهنود.
_ لو أكمل إصلاحاته وساد فكر التسامح لما انقسمت
الهند.

_ لو تمكن من فرض الإسلام على كل الهنود لما كانت
الباكستان.

_ لو..

_ لو..

* * *

في البقرة

“الجوع كافر”

حول المجرات يبحث "أبو الفضل" عن مكان الجنة..
يتساءل:

_ النار في كل مكان.. أين الجنة؟ أين الفردوس؟
كلما حمد نجم تحول إلى أتون مستعر حتى ينفجر.
ويسأل "بادوني": وهل شمسنا ستنفجر؟
_ طبعاً.. كوكب الأرض مُهددٌ باندثار الحياة ولا أثر لأي نوع
من الحياة على كوكبٍ آخر.. الحياة معجزة على الأرض.
ويتساءل بادوني:

_ ولماذا لم تحدث نفس المعجزة على الكواكب الأخرى؟
_ الحياة معجزة.. يا لغباء الإنسان.. يا لتهور الإنسان.. هل
يُدرك ما هو فاعل على الأرض؟ هل سيتفهم الإنسان
يوماً جُرم ما يفعل في حق الحياة؟
_ ولهذا جاءت الأديان تدعو للفضيلة.
_ نعم.. ولكن كيف تحولت الأديان السمحة سبباً في
الحروب والتقاتل؟!

_ لذلك وجب توحيد الجميع تحت راية الإسلام.
_ أنت حالمٌ يا شيخ "بادوني". المعتقدات لا تتغير بحد

السيف.. أنت عايشت وقت المجاعة ، كان الخلق
يفضلون الموت جوعاً ولا يذبحون أبقارهم ، يأكلون
الأطفال ولا يخالفون معتقداتهم.. هل نسيت ؟
وصرخ في الآلة أمامه : المجاعة.. المجاعة.. عصر "أكبر".
تُظهر الشاشة بلاط "أكبر" وعشرات الفقراء المُعدّمين
يتشاجرون ويتكلمون في نفس الوقت بلغاتٍ ولكنات متعددة.
_يا مولاي.. يا حامي الإسلام.. الهندوس هاجمونا وخطفوا
ثلاثة من أطفالنا.

ويصرخ هندوسي:

_ يا مولاي.. يا حامي الحق والمقدسات.. المُسلمين ذبحوا
أبقارنا المقدسة في الشوارع.
"أكبر": أتفضل أن تموت أسرتك من الجوع ولا تذبح بقرتك؟
الهندوسي: أموت فداء لبقرتنا المقدسة.
"أكبر": أنذبح وتأكل أطفال المُسلمين وتترك بقرتك
تمرع في الشوارع؟

الهندوسي: نأكل كل شيء يا مولاي عدا الأبقار المقدسة..
أنتم يا مولاي لا تأكلون لحم الخنزير.
"أكبر": لكن المُسلم يأكل لحم البقر.. ألا تعطيه بقرة
لإنقاذ حياة أطفاله من موت محتم؟

المُسلم: هذا جنون يا مولاي. الأطفال تموت جوعاً ، الأرض
بيست والجفاف أهلك المحاصيل ، الأرز اختفى
والناس تتقاتل في الشوارع حول حبات الأرز الساقطة
على الأرض.. كل ذلك وأبقارهم تمرع مسمنة مجللة.
الهندوسي: لقد تعسر شراء الأرز بالذهب.. ولكن لا

مساس لمقدساتنا ، ندافع عنها بأرواحنا.

"أكبر": يا للعجب.

الشيخ "مبارك": لا حول ولا قوة إلا بالله.

الشيخ "بادوني": الكفرة يأكلون المُسلمين.. ماذا تنتظر

يا مولاي؟ يجب الضرب بيدٍ من حديد لإعادة الأمن

والأمان. يجب توحيد دين الإمبراطورية.. إن لم يدخل

الهندوس في الإسلام فلا أمان لأحد.

هندوسي: بالأمس هاجموا معبدنا يا مولاي لاصطياد

فئراننا المقدسة.

"أكبر": فئرانكم المقدسة !!

الهندوسي: نعم، سلقوا الفئران وأكلوها. أزهقوا أرواح

أجدادنا.

الشيخ "مبارك": الهندوس يعتقدون بتناسخ الأرواح وأن

أرواح أجدادهم تحل بعد الوفاة في الفئران.

"أكبر": بعد الأبقار.. الفئران.

المُسلم: يا مولاي إنهم يُطعمون الفئران حتى سمّت.

"أكبر": كل شيء في الهند يدعو للجنون.

الشيخ "مبارك": إيمانهم بتناسخ الأرواح يا مولاي يجعلهم

ييجلون ويقدسون كل المخلوقات الحية.. حتى

الحشرات.

"أكبر": حتى الفئران؟

الشيخ "مبارك": عند الهندوسي الفأر إله ، واحد من آلهتهم

المتعددة.

الشيخ "بادوني": يا مولاي.. هذا كُفر.. أستغفر الله يا

شيخ "مبارك" من كل هذا الكُفر.
 الشيخ "مبارك": يجب احترام مقدسات الآخرين.
 الشيخ "بادوني": هذه خرافات.. هذا كُفر.. واضح بيّن في
 أرض الإسلام.
 الشيخ "مبارك": وإلا.. الحرب الأهلية.. كل مستعد للموت
 دفاعاً عن مقدساته.
 الشيخ "بادوني": أرايت يا مولاي؟ التعايش مستحيل بين
 الهندوس والمُسلمين.. يجب إدخالهم للإسلام بحد
 السيف.
 الشيخ "مبارك": الإسلام لا يُفرض بحد السيف.. بالتسامح
 واحترام الآخر نعيش في سلام.
 "بادوني": هذا هراء يا مولاي.. يجب فرض الإسلام بالقوة،
 المجاعة فرصة لا تُعوض لتغيير الأمور بسرعة.
 "أكبر": لقد غزونا هذه البلاد بالقوة وأخضعناها بالسيف
 ولكننا لم نتمكن أبداً من تغيير المعتقدات.
 "بادوني": الناس على دين ملوكهم يا مولاي.
 "أكبر": لقد غزونا الهند.. كيف نغزو قلوب الهندوس؟
 "بادوني": بتوحيد الهند تحت راية الإسلام.
 الشيخ "مبارك": يا شيخ "بادوني".. الكثير من الهندوس
 دخلوا الإسلام تظاهراً.. حُباً في المناصب.. وجمعاً
 للمكاسب.
 "أكبر": أجدادي فرضوا حكمهم بحد السيف وطردوا
 وتشردوا وذهبوا في مهب الريح.. لماذا لا نجرب
 شيئاً آخر؟

"بادوني": الإسلام وتعاليمه أكبر وأشمل من وجودنا.
"أكبر": نعم.. لقد غزا أجدادي البلاد بقوة السيف.. أما
أنا فأريد غزو قلوبهم بالمحبة والتسامح.. أين ابنك
يا شيخ "مبارك". أين ابنك "فايزي" أريد الاستماع
إلى أشعاره.

يُنشد "فايزي":

في ساحة الجهل يسود التعصب
وفي ساحة الفقر يسود الإحباط
والتعصب يدفع للكرهية
والإحباط يؤدي إلى التذمر
السيف قادرٌ على تغيير العالم
ولكنه أبداً.. لا يلمس وريد القلب
بالحُب وحده تسود المحبة
وبالتسامح يسود السلام.
مولاي قد تكون سليل المغول
ولكنك الوحيد القادر بحكمته الجمع بين المُسلم
والهندي.

"با دوني": يا شيخ مبارك.. لقد تحكمت أنت وأولادك في
البلاط.. إننا في بلاد الإسلام ويجب على الهنود
مراعاة ذلك.

الشيخ "مبارك": لا إكراه في الدين.. إدخال الهنود إلى
الإسلام بحد السيف يعادي تعاليم الإسلام الحنيف.
"بادوني": ولكنهم لا يعرفون غير قوة السيف يا مولاي.
"أكبر": كفى.. لنكن قدوة.. أجدادي أعملوا السيوف

في رقابهم، مارسوا السلب والنهب حتى كونوا
الثروات، أذلّوهم بالتعذيب والخطف والاغتصاب..
ثم ماذا؟ قضوا حياتهم كلها في حروب وتقتيل
وفرار وتشريد.

"بادوني": ولكنهم يكرهوننا يا مولاي.
أكبر": وهل تريد منهم أن يحبوك بعد كل ذلك؟
لنكف عن إذلال الشعوب.
لنكف عن السرقة والنهب.
لنعلّم الهنود لنخرجهم من الجهل.
لنفق من ملذات الدنيا ونعمل لآخرتنا.
لنكن لهم قدوة حسنة حتى نحبب الإسلام فيهم..
ثم يا شيخ "بادوني" ما فائدة السلطة والجاه والثروة؟
لدينا القصور ونعيش فيها كالمساجين..
وإذا خرجنا كنا محاطين بالحراس كالمجرمين..
"بادوني": لأنهم يهددون حياتنا يا مولاي.
أكبر": نعم.. إننا مُهددون ومكروهون.. هل يأتي يوم أسير
فيه في الشارع دون خوف؟ هل يأتي اليوم الذي أرى
فيه نظرات المحبة في عيون أطفال الهنود.
"بادوني": يا مليكي المعظم، أنت مُوحِد الهند وملكها،
بحد السيف ستميل إليك القلوب، بالرقابة الصارمة
سيخضع الجميع، بالإدارة الحازمة سنسيطر على
العباد، بالتعليم الإجباري للإسلام سنغير عاداتهم
القييحة، عدة أجيال يا مولاي وينسون تاريخهم.
أكبر": كل الحكام قبلنا فعلوا هذا وأكثر منه،

وكلهم فشلوا.

"بادوني": الإسلام في خطر، لنحرق معابدهم أو نحولها
إلى جوامع، لنهدم تماثيلهم الفاجرة العارية
ونحطمها، سترون.. بعد جيل واحد أن الكل
متفق معك، وأن العقليات قد تغيرت وأن الكل
يدين بالإسلام.

"أكبر": البطش والجبروت لا يغير أبداً ما في بالنفوس..
الدين يا شيخ علاقة بين الإنسان وخالقه.. نعم حد
السيف لا يغير أبداً ما بالنفوس.
الشيخ "مبارك": سيتظاهرون بالخضوع وينتظرون لحظة
الانتقام.

"بادوني": هذا تفريط في الإسلام.
الشيخ "مبارك": الدين والمعتقد يتشربه الطفل من والديه
وأسرته وينطبع كالوشم في خلايا عقله.
"أكبر": يا لها من فكرة يا شيخ مبارك.. يا لها من
فكرة.. الطفل يتشرب الدين من والديه وأسرته..
الطفل.. الوالدين.. الأسرة.

وصاح في الهندسي:

_ كم عدد أطفالك؟

_ ستة يا مولاي.

_ وأنت أيها المسلم

_ سبعة يا مولاي

تمهل السلطان "أكبر" ثم قال:

_ حسناً.. ليأخذ الهندوسي ثلاثة من صغار أطفال المسلم

ولياًخذ المسلم ثلاثة من صغار أطفال الهندوسي..
سنرى كيف يتقاتلون بعد اليوم.
الهندوسي: الرحمة يا مولاي.. أطفالى الصغار.
المسلم: الرحمة يا مولاي.. أطفالى الصغار.
أكبر": لنصدر فرمانا:

(كل عائلة تتشاجر مع عائلة أخرى سنبدل أطفالهم).
الشيخ "مبارك": عين العقل يا مولاي.
"بادونى" (خائفاً): عين العقل يا مولاي.
الشيخ "مبارك": الحكمة تجسدت في مولاي.
الشيخ "بادونى": فكرة عبقرية يا مولاي.
وأوقف "أبو الفضل" الآلة قائلاً:

_ أرايت كيف تحولت إلى منافق خسيس؟
_ بل رأيت كُفر أبيك وتفريطه في الإسلام.
_ لم يفرط أبداً في الإسلام. كان يريد حقن الدماء.
_ بل هو كُفر.. تربية أطفال المسلمين عند الهنود كُفر.
_ ولكنه رد كل طفل إلى عائلته بعد المجاعة.
_ بل هو كُفر وخروج عن تعاليم الإسلام.
_ بل حكمة ورجاحة.
_ لو أدخلهم في الإسلام لما كان كل ذلك.
_ لو نجح في إصلاحاته لما كان كل ذلك.
_ لو..

* * *

في التاريخ

”تاريخ الإنسان حروب“

على الشاشة يرتفع البخار.. الصمتُ يسود البلاط، وصوت
عراف "أكبر" يرتفع:

_ بلاطك منقسم يا مولاي.. جيشك ينقسم يا مولاي.
أرى الهند منقسمة إلى دولتين، ثم إلى عدة دول.. حروب
ومذابح تسود الهند.

"أكبر": ماذا تقول؟ لعنة الله عليك وعلى بخارك.
العراف: نعم يا مولاي.. ستُقسَّم الهند..
"أكبر": عجباً.. هذا رابع مُنْجَم يتنبأ بنفس الشيء..
العراف: حروب ضارية في الهند.. دولة مُسلمة في الشمال..
ودولة هندوسية في الجنوب.. ملايين من القتلى
والجرحى.

"أكبر": نفس الرؤية الجهنمية تنتشر في طول البلاد
وعرضها دون أن يعرف أحدهم الآخر.
الشيخ "مبارك": رغم عدم اعترافي بالتنجيم إلا أنني أوافقهم.
"أكبر": وما أسباب ذلك؟
الشيخ "مبارك": جو الحقد والكراهية الذي يسود ربوع
البلاد سينتهي حتماً بمذابح وحروب أهلية.

"أكبر": حدثني عن أجدادي وتاريخهم يا شيخ مبارك.
الشيخ "مبارك": سأحدثك عن تاريخ الهند.
"أكبر": هل أصبحت من المنافقين.. ألا تخجل يا شيخ
"مبارك".. إلَيَّ بالحقيقة.. تاريخ أجدادي.
الشيخ "مبارك": الحقيقة صعبة.. وقولها مُخرج يا مولاي.
"أكبر": هيا يا رجل.. وإلا استدعيت أحد أبنائك.
الشيخ "مبارك": أجدادك المغول يا مولاي كانوا محاربين
عُتاة، لم تقف أبداً قوة أمامهم.. فتحوا البلاد ودمروا
الجيوش وأعملوا السيوف في الرقاب.. بعد كل
حرب كانوا يدمرون المُدن ويحرقونها.. يفنون
رجالها.. ويغتصبون نساءها.. أعمال عنفٍ بشعة
دفعت جيوش أعدائهم إلى الهروب فور وصولهم
فاستولوا على بلاد شاسعة دون قتال.. لكن جدك
الأعظم "بابير" كان أكثرهم حكمة.. كان
بعيد النظر فوحد البلاد وأحسن من إدارتها..
أجبر قواده بالكف عن السلب والنهب.. كان أول
سلطان مغوليٍ يعتبر الهند بلداً وموطناً له.. السلطان
"بابير" المُعظم لم يكتف بذلك بل طلب من قواده
ومساعديه حُب الهند واحترام الهنود.. أجبرهم
على الاستقرار بها بعد أن كانوا رعاة متجولين
لا يعرفون سوى الترحال والقتال والسلب والنهب..
تحولت أحوال المغول في عهده واستقرت الأمور
ردحاً من الزمان.. لكن في عهد والدك المُعظم
"هوماين" عاد الانقسام والاقتتال في الإمبراطورية

نتيجة لأطماع أخوته ومؤامراتهم التي لم تكف للاستيلاء على العرش.. تشرد والدك بعد خيانة عمك عسكري.. ودارت بينهما حروب عديدة حتى استرد عرشه ثم وجدت أنت نفسك على عرش الهند.. أنت ثالث إمبراطور من سلالة المغول على أرض الهند يا مولاي.. أول إمبراطور يُولد في الهند. "أكبر": حروب.. قتال.. حروب.. قتال..

لماذا يتقاتل البشر في كل مكان وزمان؟
"مبارك": هذه طبيعة البشر.. منذ بدء الخليقة وتاريخ البشرية قتل واقتتل.. الإنسان هو الوحيد الذي يقتل حُباً للقتل.. الحيوانات المفترسة لا تقتل إلا إذا جاعت.. وإذا قتلت فهي تقتل الفريسة الضعيفة التي كانت ستموت وتنفق حتماً.

"أكبر": غزو.. قتل.. سلب ونهب.. يا للعار.
"مبارك": هذه شريعة الغاب.. القوي يفترس الضعيف.. سلالات الهابطة من الإستبس الآسيوي من أقوى السلالات البشرية لتعودها على ركوب الخيل والترحال.. كانوا موجات من الغزو تتدفق وتمحو كل ما يقف أمامها منذ القرن الثالث عشر، "جنكيزخان" كان إعصاراً وصل أوروبا الشرقية، فاقت فتوحاته غزوات "الإسكندر الأكبر"، وأقام إمبراطورية عظيمة في وسط أوروبا ثم إيران التي خربها ودمرها. كان هناك أيضاً "كوبلاي خان"

الذي حاول غزو اليابان وفشل. و"هولاكو" الذي اكتسح العراق ودمر بغداد فكانت الفاجعة الكبرى للمسلمين ونهاية الخلافة العباسية ثم اكتسح الشام ومصر حيث كانت هزيمة المغول على يد السلطان "قطز" في معركة عين جالوت عام 1260م. ثم كان "تيمور لنك" العظيم الذي اتخذ من سمرقند عاصمة له ثم اكتسح فارس والعراق وبعدها شمال الشام حتى تصدت له مصر مرة أخرى. بعدها صعد إلى الأناضول وهزم الأتراك في معركة أنقرة عام 1402م.

"أكبر": غزوات.. غزوات.. غزوات.. حروب.. حروب..

حروب.. أليس هناك طريقة للعيش دون تقتيل؟

هل من الممكن تغيير الطبيعة البشرية؟

الشيخ "مبارك": تغيير الطبيعة.. مستحيل يا مولاي.

ربما تهذيبها.. بالتربية والتعليم.. ربما.

تغيير العادات والتقاليد.. ربما.

"أكبر": أتفهم نظرات الحقد والكراهية في عيون

الهنود.. يا شيخ مبارك.. أخبرني بصدق.. كيف

ينظر المسلمون إلى المغول؟

"مبارك": المغول تركوا أثراً سيئاً في نفوس المسلمين،

إنهم يعتبرون المغول سلالة غازية جاءت بقوة

السلاح وستذهب وتندثر كغيرها من السلالات

التي انقرضت.

"أكبر": هذا هو نفس شعوري.. هذا هو أصل الكراهية
والانقلابات والدسائس.. نحن مكروهون من
المُسلم كالهندوسي.. الكل يكرهنا.

"مبارك": عامة المُسلمين كالهندوس يا مولاي يعتبرون
المغول غُزاة متعطشين للدماء، همهم الأُوحْد هو
التقتيل والتعذيب، لا يعرفون سوى هدم العمران
والسلب والنهب، لا يحبون العمل ويفرقون في الشهوات
والملذات المحرمة مثل هتك العرض والاغتصاب.

"أكبر": يا للعار.. أهذا هو إرثي مع هذا العرش؟ تاريخٌ
طويل من الظلم والحقد والكراهية.. هل من
طريقة لتعديل هذا المسار لمحو هذا العار؟

"مبارك": تغيير التاريخ مستحيل يا مولاي.. أما كتابة تاريخ
جديد فهذا ممكن.. مستقبل الهند بين يدي مولاي.

"أكبر": أريد إمبراطورية يحترم فيها الهندي دين الإسلام،
إمبراطورية يحترم فيها المُسلم مقدسات الهندي.

"مبارك": بل قُل إمبراطورية يحترم فيها قادتك بعضهم بعضاً..

بل قُل إمبراطورية يحترم فيها المُسلم العربي المُسلم

التركي، ويحترم فيها المُسلم الأفغاني المُسلم

الإيراني.. بل قُل إمبراطورية يتقبل فيها المُسلم السُني

المُسلم الشيوعي، ويحترم كلاهما المُسلم الصوفي

ويتقبل الجميع المُسلم الهندي. بل قُل...

"أكبر": لديك حق يا شيخ "مبارك".. هل أنا بحالم؟

كيف أتطلع لُحْب الهنود والأفغاني يكره

التركي، والتركي يكره الفارسي، والفارسي يكره العربي، والعربي يكره المغولي.. لماذا لا يُحب بعضنا بعضًا وكلنا في الإسلام؟
كيف نطلب من الآخر أن يحبنا ونحن نكره بعضنا بعضًا؟

أليست هناك طريقة للتقريب بين المذاهب داخل الدين الحنيف؟

أليست هناك طريقة للتقريب بين الأديان؟
هذه هي الطريقة الوحيدة لنشر الحب والتسامح بين البشر.. حينئذ تزول الكراهية وتكف الحروب.

"مبارك": يا مولاي.. لو أصلحت بين السنة والشيعة لأنقذت عرشك من الهلاك.. لو استطعت فعل ذلك ستللم شمل الإسلام وتُعلي من قدره.

"أكبر": هذا هو مقصدي يا شيخ مبارك.. هذه غزوتي التي تهون أمامها كل الغزوات.

"مبارك": ويا لها من غزوة.

"أكبر": هل أنت صادق؟

"مبارك": طبعًا.. ستكون الأولي في تاريخ البشرية المُظلم.. شمعنة تنير تاريخ أجدادك الحالكة الظلام.. أمل للبشرية في حياة أفضل.

"أكبر": لماذا لا نقيم دعوات للنقاش وتبادل الآراء للتقارب ولم الشمل؟

"مبارك": فكرة عظيمة، اللقاء بين الناس يُقرب منهم ويحبب بعضهم إلى بعض، معرفة الآخر تخفف من

الكراهية.

"أكبر": هذه هي مهمتك يا شيخ "مبارك".. هذه هي رسالتك.
"مبارك": بل هي رسالة مولاي السامية.. سيظهر اسمك في
التاريخ كأول من وفق بين الأديان.

"أكبر": يا لها من مهمة تهون أمامها الحروب والغزوات.
الشيخ "مبارك": ستكون أول مغولي يدعو للتسامح دون
الكراهية.. يدعو للحُب بدلاً من القتل.. أنت يا
مولاي وُلِدْتُ على أرض الهند وقدرتك هو التقريب
بين المُسلمين والهنود.. حين أسمعك كأني أقرأ
لـ"ابن الرومي" الذي كان يرى في اختلاف الأديان
أصل الشرور.

"أكبر": ماذا كان يقول ابن الرومي؟
"مبارك": كان يرى أن المذاهب جميعها ألوان، واختلافها
يزول بزوال الألوان، والأصل فيها انعدام الألوان.

وينشد:

فلما تلون اللون اشتبك موسى مع موسى

ولما زال اللون تصالح موسى مع الفرعون.

وكان يقول:

أيها المُسلمون، ليت شعري، ما التدبر

أنا لا أدري من أنا:

فلا أنا مسيحي ولا يهودي ولا مجوسي ولا مُسلم

ولا أنا بشرقي ولا بغربي ولا بالبري ولا بالبحري

ولا أنا من عناصر الطبيعة ولا أنا من الأفلاك الدوارة

ولا أنا من تراب ولا أنا من هواء ولا من ماء ولا من نار

علامتي بلا علامة ومكاني بلا مكان
 ولا أنا جسمٌ ولا روح فنفسى من روح الحبيب
 لما لفظت الأثنية رأيت العالم واحداً .
 إنني أرى واحداً، وأنشد واحداً، وأعلم واحداً
 وأدعو واحداً
 هو الأول ، هو الآخر، هو الظاهر، هو الباطن .
 وهنا صاح "بادوني":
 _ أبوك هو أصل البلاء.. كل هذا خرج من تحت عِمَّتِه
 المسمومة.
 ورد "أبو الفضل" بهدوء:
 _ ولهذا حاولتم قتله.. تفضلون سفك الدماء وإخضاع
 الآخرين بالقوة لعدم قدرتكم على المناقشة.. تُفضلون
 الدسائس للتخلص من معارضيكم وبذلك تتشرون
 الحقد والكراهية بين المُسلمين.
 _ لو كنا تمكنا منكم لما حدث ما حدث..
 _ لو أكمل إصلاحاته لغير وجه التاريخ..
 _ بسببه انقرض الإسلام..
 _ بل بفضلُه ساد التسامح ودخل ملايين الهنود في الإسلام..
 _ لو أعمل السيف في رقابهم لدخلوا جميعاً في الإسلام..
 _ بل لو عاونتموه وأعطيتهم القدوة الحسنة لساد الإسلام..
 _ لو لم تسمم أفكاره وتبعده عن العقيدة لما حدث ذلك..
 _ لو أكمل إصلاحاته السامية لما حدث الانقسام..
 _ أنت وأبوك وأخوك أصل كل الشرور..

_ أنت وذوو العقلیات المتحجرة التي تقرأ نفس الكتب
وتردد نفس الخرافات والخزعبلات أصل كل الشرور..
_ لقد هدمتم الإسلام وقسمتم المسلمین..
_ الأديان المختلفة موجودة قبله ، والانقسامات والمذاهب
المتعددة وصراعاتها التاريخية موجودة قبله وبعده..
_ يا للكافر.. كان كافرًا..
_ يا للمصلح.. حاول الإصلاح..
_ لو..
_ لو..

* * *

عبادة خان

“الدين واحد ورجال الدين مختلفون”

صرخ "بادوني" في الآلة:

_ عبادة خان.. مربع "أكبر"...

ظهر على الشاشة السلطان "أكبر" وهو يجلس في منتصف القاعة، على يمينه الأسياد والأشراف وأهل البيت، أمامهم جلس النبلاء، على يساره الشيوخ المتورعون وأمامهم العلماء والقضاة ورجال القانون، يسود القاعة صمت القبور، وجوه متجهمة خائفة، لا أحد يجرؤ على تحية الآخر أو مبادلتة السلام. صاح "أكبر":

_ أيها الحكماء والفقهاء، يا رجال الدين والعلم والقانون، يا خير رجالات الأمة وصفوة عقولها، اليوم نبدأ جلسات دراسة لديننا الحنيف، هدفنا هو خدمة الإسلام وتقريب مذاهبه، هدفنا الوحيد هو الفهم الحقيقي للإسلام للتوفيق بين مذاهبه.

_ إذا تمكنا من ذلك ستسود المحبة والتسامح بين كل الفرق، إذا تمكنا من ذلك سيحترم بإذن الله كل مُسلم عقيدة أخيه المُسلم وإن لم يتفق معها، سنجتمع في هذه القاعة كل يوم خميس، لا تنسوا أن جوهر

الدين الحنيف واحد وإن اختلفنا في تفسيره تشعبت
الفرق، سنحاول التقريب بين المذاهب وحلّنا بعيد
المدى هو توحيدها، من يبدأ...
(صمت قبور)...

الكل ينظر للأرض متحاشياً نظرات الآخرين..
_من يبدأ؟ (صاح "أكبر"). احذروا أن تخفوا في
صدوركم مشاعركم وآراءكم.. نحن نبحت عن
الحقيقة.. من يداري أو يصمت سيكون مسؤولاً ليوم
القيامة أمام العليّ القدير.
صمت قبور.. ويكمل "أكبر" مشجعاً:
_أيوجد مُسلمٌ مُوحِد حقيقي لا يتمنى أن تنتهي الخلافات
بين السُّنة والشيعة؟

وصاح كالرعد:
_تكلّموا لإعلاء راية الإسلام.. تكلّموا..
وهنا تشجع "صدر الصدور" متسائلاً خائفاً:
_هل نتكلم في حماية مولاي؟
ونطق الشيخ "سولتامبوري":
_هل نستطيع الكلام بحرية؟
ورد "أكبر" بهدوء وثقة:

_نعم.. في هذه القاعة كل منكم يعبر عن أفكاره
ومعتقداته دون خوف.. نحن هنا لإعلاء شأن الإسلام.
وهنا قال "صدر الصدور" بغلٍ وخوف:
_يا مولاي المعظم. كيف نناقش أمور الإسلام في
حضرة الشيعة الذين قسموا ظهر الإسلام؟

وصاح "أكبر" غاضباً:

_يا مولانا المبجل.. يا صدر الصدور.. نحن اجتمعنا
لنتناقش دون إهانة الآخر.. دون تجريح لمعتقد الآخر..
دون تكفير الآخر.. لا تنسوا أن الشيعة يقولون لا
إله الا الله محمدٌ رسول الله.. نحن هنا لمناقشة هذه
الأمور التي تفرق بيننا وتجعلنا فرقةً ومذاهب متناحرة..
تشجعوا.. تكلموا..

وهنا تشجع صدر الصدور ناطقاً كالآلة:

_حسناً.. ما قولهم.. أعوذ بالله من الشيطان الرحيم.. أعوذ
بالله.. ناقل الكُفر ليس بكافر.. أعوذ بالله..
وصرخ فيه "أكبر":

_ تشجع يا مولانا.. قل ما عندك.

_ ما قولهم بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أولى
بالخلافة بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟ يزعمون
العصمة لعلي وهم بذلك يؤلهونه.. فالعصمة لله وحده
عز وجل.

_ حسناً.. نحن هنا لإيجاد حلول لهذه الأمور التي تشق صف
المُسلمين وتفرق بينهم وتدفعهم للخلاف ثم الاقتتال.
_ هذا كُفر يا مولاي.. هذا كُفر بين صريح.
_ حذار مرة أخرى من تكفير الآخر.

_ الشيعة فرقة باطلة أسسها اليهودي عبد الله بن سبأ
لتمزيق المُسلمين وطعن الإسلام من الداخل.
وهنا قال الشيخ "مبارك":

_ كل هذه أقاويل وأكاذيب لا أساس لها ، أنتم تحتكرون
الفقه وعلوم التفسير وتتحكمون في المساجد
والمدارس وتدخلون في عقول العامة ما تريدون ، أنتم
تملكون السطوة والجاه.. المال والسلطة.. وتطاردون
من يختلف معكم من المسلمين كأنهم كفر.

وصاح "أكبر" مُهدداً :

_ مرة أخرى.. هذا المربع للتقريب بين المذاهب ، يا شيوخ
الإسلام ، يا علماء الدين ، أجيبوني: إن لم يتقبل السني
الحديث مع الشيعي فكيف نحادث الأديان الأخرى؟
وتشجع عبد النبي قائلاً :

_ الإسلام دين الحق وهو آخر الأديان ، والسنة هم قوام
الإسلام.

ورد "أكبر" بهدوء:

_ أعرِف وأقْدِر دور السُّنة ، جهودكم وخدماتكم للمملكة ،
ولكن المسلمين أقلية في الهند ، والهنود لن يصبحوا أبداً
مُسْلِمِينَ ، وإن أردتم دخولهم في الإسلام فلنعطهم القدوة
الحسنة ، ليحترم كل منكم مُعْتَقِد الآخر.
"صدر الصدور" : لنُدْخِلهم الإسلام بحد السيف.
"عبد النبي" (مُهدداً):

_ خلافتات عميقة تفصل بين الهنود والإسلام.. الهند أصبحت
أرض الإسلام ، يجب إخضاع الهنود.. ولو بحد السيف.
وقال "أكبر" (بهدوء):

_ تعرفون أن غيرنا حاول كثيراً ولم يفلح أي منهم ، لماذا

لا نجرب طريقة أخرى؟ طريق التسامح واحترام الآخر،
ولنبداً بأنفسنا.

وقال "عبد النبي" (متحيراً):

— هذه طريقة جديدة للحكم يا مولاي.
وتشجع "صدر الصدور":

— علماء السُّنة قلقون يا مولاي من تغلغل الشيعة في
البلاط، قلقون من انتشار الصوفية، من تغلب اللغة
الفارسية داخل القصر، من تقرب مولاي من كهنة
اليانين والزرادشت والهندوسية. لماذا لا تتكلم يا
شيخ "عبد الله" يا مخدوم الملك؟
وقال مولانا "عبد الله" بثقة:

— الإسلام يا مولاي هو دين الدولة الرسمي منذ قرون، وهو
يمثل مكان الصدارة.. الفرق والنحل والمذاهب الأخرى
غير مُعترف بها، وهناك ديانات كثيرة لديهم غير سماوية.
ورد "أكبر" بهدوء: ولكنها ديانات ملايين من الهنود.

— وضع هذه الأديان في مستوى الإسلام سيقول من شأنه
ويعرضه للتجريح، هذه إهانة للإسلام، نحن في أرض
الإسلام، لماذا نضع الإسلام في مأزق ونساوي بينه
وبين مذاهب كافرة؟
وهنا قال الشيخ "مبارك":

— الدين الحسن هو الدين الذي يترك أثراً طيباً في نفوس
الآخرين من أصحاب الديانات الأخرى، الإسلام الذي
انتشر في الهند هو بفضل الصوفية وتسامحهم ورقّي

فكرهم ، الإيمان القوي الثابت لا يتم إلا بالافتتاح ،
لنكن قدوة حسنة للآخرين .
وصاح "أكبر" : هذا ما أؤمن به.. هذا ما أعتقد به .
وصاح عبد النبي :
_ ولكن كثيراً من الهنود تحول إلى الإسلام .
ورد الشيخ "مبارك" :
_ بعضهم خوفاً من البطش وأكثرهم بحثاً عن المنافع ،
وكلهم ينتظر اللحظة المناسبة للرجوع إلى دين آبائهم ،
وأظن أنهم يمارسونه في الخفاء .
وهنا قال "أكبر" :
_ لم نستمع بعد لرأي مولانا "عبد الله سولتامبوري" كبير
علماء الإسلام .
وهنا قال الشيخ "سولتامبوري" :
_ يا مولاي العظيم.. الحالة الروحية في المملكة غير
مُطمِئنة ، نحن نقرب من العام الألف الهجري ،
الشائعات بنهاية العالم تنتشر في ربوع الإمبراطورية ،
الخرعبلات تملأ العقول ، المهدية يروجون لأفكارهم
بحلول المهدي المنتظر ، الصوفية يتحدثون مع الهندوس
ويرون الله سبحانه وتعالى في كل شيء ، الشيعة
يروجون الإشاعات ويوزعون الاتهامات لعلماء السنة
بالفساد والرشوة وجمع الأموال وتسليح الأنصار ، كثرة
الملل والطوائف يا مولاي داخل المملكة سيقضي على
الإسلام ويُضعف الإمبراطورية
"أكبر" : ولهذا نريد التسامح يا مولانا .

_ يا مولاي العظيم.. الخلق يتصارعون.. كلٌ حسب مُعتقدِه.
_ كثرة المِلل تُضعِفُ السلام الداخلي وتكسر شوكة
الحكم، الاستمرار في هذا التعدد والتشعب في المِلل
والطوائف سيؤدي حتمًا إلى المهلكة وضياع الإسلام.
وهنا قام الشاعر "فايزي" ناشدًا:

لا تعجب من تعدد المعتقدات

فهذه إرادة المولى

ولا تجعل الحقد يسكن نفسك

فقط حاول تفهم الآخر

لا تجعل الثأر يتمكن منك

فالتسامح خير دواء.

وافق الشيخ "سولتامبوري" مجاريًا:

_ كلامك الجميل يا شاعرنا العظيم نُحِبُه ونُقدِّره، لكن
للأسف لا يفيد المملكة أو الإسلام في شيء، الخلق
يتقاتل على بقرة، على لقمة أو حتى عظمة، في الهند
آلاف المِلل والنحل والفرق والمذاهب، آلاف اللغات
واللهجات، لن تتوحد الإمبراطورية إلا بفرض الإسلام.
ويرد الشاعر "فايزي":

يا إلهي.. أرى الناس في كل معبدٍ

تبحث عنك في كل لسانٍ وكل لباسٍ

في المسجد تؤذن للصلاة

حي على الفلاح

وفي الكنائس تدق الأجراس

وفي كل معبدٍ هندي يقصدون الأرواح

ولكل مذهب طُرق وألواح
الكل يسبح ناظرًا للسماء
عابدين رب الخلق الواحد الخلاق.
وصاح الشيخ "مبارك":

_ كَأني أسمع فيلسوف الصوفية العظيم الجيلي وهو ينشد:
وأسلمت نفسي حين أسلمني الهوى
ومالي عن حكم الحبيب تنازع
فطوراً تراني في المساجد راكعاً
وأني طوراً في الكنائس راتعاً
وإن كنت في حكم الشريعة عاصياً
فأني في عالم الحقيقة ضائع.
انتعش السلطان "أكبر" بالشعر وقال:

_ أنشدنا يا "أبو الفضل" بشعر سلطان العاشقين "ابن
الفارض" فهو أفضل من عَبْر عن أن الديانات واحدة
وهي كلها لعبادة الله.

وأنشد "أبو الفضل": كان يقول:
وما عقد الزنار حكماً سوى يدي
وان حل بالإقرار بي، فهي حلت
وإن نار، بالتنزيل، محرابٌ مسجدٍ
فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفارُ توراة الكليم لقومه
يناجي بها الأحبار في كل ليلة
وإن خر للأحجار في البُدد عاكف
فلا وجه للإنكار بالعصية.

"أكبر": يا لسمو روحه.. تجارب النصارى واليهود
والبراهمة عنده فروع لأصل واحد ونابعة من
مصدر واحد.

وتابع "أبو الفضل": وقال عن الحب الإلهي:

وعن مذهبي في الحب مالي مذهبٌ

وأن ملّت يوماً عنه فارقت ملّتي

ولو خطرت لي في سواك إرادة.

على خاطري سهواً قضيت بردّتي

وهنا خرج القاضي "محمد يازدي" عن هدوئه صارخاً:

_ كفى يا ابن الشيخ "مبارك" .. كفى.. يا مولاي.. كلام

الشيخ "مبارك" وأشعار أبنائه يدل على تحكم الصوفية

في البلاط..

ورد "أبو الفضل" (بهدوء):

_ افتحوا قلوبكم لحُب الآخرين.. افتحوا عقولكم لتفهم

الآخرين.. اسموا بأرواحكم.

وأكمل الشيخ "مبارك":

_ انتشار الإسلام في الهند كان بفضل الطرق

الصوفية، انتشر وتغلغل بفضل الجشتية والكبروية

والشكارية، الهندوس تقبلوا التصوف باقتناع لما به

من قدوة، أحبوا الإسلام لتصرفات الصوفية الراقية

المتسامحة، بُعد الصوفيين عن التعصب وطريقة

معيشتهم المتقشفة الورعة جذبت نفوس كل طبقات

الشعب الهندي لقربها من طريقة حياتهم.

__ استمعوا لابن عربي وهو ينشد :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ

فمرعى لغزلانٍ وديرٍ لرهبانٍ

وبيتٍ لأوثانٍ وكعبة طائف

وألواح توراةٍ ومصحفٍ وقرآن

أدين بدين الحب أني توجهت

ركائبه فالحب ديني وإيماني

وهنا قال مولانا "سولتامبوري" :

__ هل عبادة المجوس للنار كعبادة الله؟

هل تقديس البقر كتقديس الإله؟

يا مولاي.. كلام الصوفية لا يخفي إلا الحلولية والاتحادية.

وقال "صدر الصدور" : عن "ابن مفلح" قال :

ليس أضل من المتكلمين والصوفية

غاية الأولين الشك

وغاية الآخرين الشطح

الأولون إفسادهم للعقول بالشبهات

والآخرون إفسادهم للأعمال بالشطحات.

وقال له "أبو الفضل" بلطف :

__ حاول يا مولانا أن تتفهم السمو الروحي.. استمع إلى

"عامر بن عامر" في قصيدته الروحية التي يبدأها بقوله :

تجلّى لي المحبوب في كل وجهة

وشاهدته في كل سني وصورة

حتى يقول :

ظهرت لنا في صورة عيسوية

ومن بعده في صورة أحمدية
وقد آن أن تبدو لنا الآن
ظاهراً بلا مزية في صورة آدمية
تكثر الأشياء والكل واحد
وقال مولانا "ساولتامبوري":

_"ابن عربي" خرج عن الإسلام بقوله بوحدة الوجود،
ومن قبله قال بها الهنود.. وبعدهم اليهود.. استغفر الله
يا رَجُل.. هذا خروج عن الإسلام.
وقال "عبد النبي":

_"هذا تجريح للإسلام وليس من دراسة الأديان في شيء..
هذا كُفْرٌ يا مولاي.. عيب ترديد ذلك في بلاط مولاي..
الاتحاد هو تلبيسٌ وضلال، تحريفٌ وتبديل.
وهنا ثار السلطان "أكبر":

_"يا شيخنا الموقر.. كُف عن تكفير الآخرين.. حاول
أن تفهم معتقدات الآخرين، وإن لم تتفق معها فحاول
احترامها.

"عبد النبي": صعب سماع هذه الأفكار يا مولاي.
وقال "أكبر":

_"أنا نفسي مُعجَب باليانية والزرادشتية والهندوسية.. في
كل معتقدٍ أشياء حميدة تتقبلها النفس البشرية.. لماذا
نرفضها؟!"

وقال مولانا "سولتامبوري" بهدوء:

_"ولكننا مُسلمون، مذهب وحدة الوجود هو مذهب
المُلحدين.. هل يُعقل أن يجعل بعضهم الوجود الخالق

هو الوجود المخلوق؟

وهنا أكمل "عبد النبي":

_ ولأننا مُسلمون يا مولاي يصعب تفهم الشيعة التي تؤله
"علي بن أبي طالب" رضي الله عنه، ولأننا مسلمون يا
مولاي يؤلمنا تمجيدهم لـ"أبي لؤلؤة" المجوسي قاتل أعظم
الخلفاء "عمر بن الخطاب".. نحن بشر.. كيف نتقبل ذلك؟
وهنا قال "أكبر":

_ نعم.. وسنظل مُسلمين.. طريق الإنسان للخالق يؤدي إلى
نتيجة واحدة وإن تشعبت المذاهب، لو درست الأساس
لكل منها لوجدت الجوهر واحدًا.
وهنا قال "أبو الفضل":

_ تمامًا كالأساطير القديمة فدور الآلهة الرومانية كان
له المقابل في الآلهة اليونانية، "فينوس" الرومانية
هي "أفروديت" اليونانية، وأرمي "هو" مارس"، وهو
"جوبيتر"، وهكذا نجد نفس الشيء عند الآلهة
الأشوريين والبابليين.

قال الشيخ "يازدي" ساخطًا:

_ لقد سلط علينا الشيخ "مبارك" وأبناؤه الشياطين.
وتشجع مولانا "سولتامبوري" قائلاً:

_ هل تساوى يا رجل بين الأساطير والأديان السماوية؟
هل تساوى بين آلهة الجاهلية وأصنامها وإلهنا الواحد
الصمد؟

ورد "أبو الفضل" بهدوء وثقة:

_ الأديان السماوية الثلاثة أصلها واحد ، وهو إبراهيم عليه السلام ، وهو إبراهيم جد اليهود والنصارى والمُسلمين جميعاً ، تلمود اليهود تأثر بالهيلينية ، وأسفار التوراة مأخوذة من ألواح المصريين كمتن الأهرام وغيرها .
وصاح الشيخ "يازدي" مُحذراً :

_ لقد دخلنا في المنطقة المظلمة .

ورد "أبو الفضل" بهدوء :

_ الأديان كلها متشابهة ، ما الفرق بين تمثال العذراء مريم عليها السلام والطفل يسوع ، والآلهة البوذية للرحمة مع الطفل ؟

ما الفرق بين الكاثوليكي والمُسلم الذي يصلي كل منهما بسبحة ، والبوذي الذي يصلي بعجلة الصلاة والسبحة ؟

ما الفرق بين حلول الروح القدس على العذراء مريم عند النصارى ، وحمل الملكة مها .. مايا بالبوذا بعد أن ضرب فيل أبيض رحمها في جنبها الأيمن ؟

ما الفرق بين الثالوث المقدس عند النصارى الأب والابن والروح القدس ، والثالوث المصري إيزيس وأوزوريس وحوريس ؟ ألم تكن لإيزيس تماثيل في كل مكان وهي تحمل الطفل حوريس تماماً كتمثال العذراء حاملة الطفل يسوع ؟

وصاح الشيخ "يازدي" معترضاً :

_ أي علم تعطيه لأولادك يا شيخ "مبارك" ؟ مخدوم الملك كان

على حق حين أصدر حكمه عليك بالكُفر والزندقة.
ورد الشيخ "مبارك" متسامياً :
_ أنت تُذكّرني بقول "الحلي" :
لو كنت تعلم ما علم الوري طُراً .
لصرت صديق كل العالم
لكن جهلت فقلت
إن جميع من يهوي
خلاف هواك ليس بعالم

وهنا ظهر الغضب على "أكبر" وخرج عن هدوئه قائلاً :
_ أتجرؤ يا رجل على تكفير الشيخ "مبارك" في
حضرتي؟ هذه إهانة لا أقبلها يا شيخ القضاة.. الشيخ
"مبارك" يعيش على الكفاف ولا يُكلف الخزانة شيئاً..
أنتم تعيشون في القصور وتُكدّسون الثروات ، وتتهبون
الأهالي وتمارسون البطش والفساد ، تتظاهرون بالتقوى
وأنتم غارقون في الفسق والترف .
وبلع الشيخ "يازدي" ريقه قبل قوله :
_ كلامهم يا مولاي خروج عن صحيح الإسلام .
ورد "أكبر" :

_ علم الشيخ "مبارك" فاق الحدود.. أبناؤه خير من أنجبت
البطون من فلاسفة وشعراء ومؤرخين وأنتم غارقون في
بطون نفس الكتب العتيقة التي لا تفيد بل تكفر كل
من حاول أعمال عقله وتدبير أمره .
قال الشيخ "يازدي" مُتعباً :

_ إذا.. ما يُقال عن تمكن الشيعة والصوفية في البلاط

هو كلامٌ سليم.
وصاح "أكبر" غاضباً:

_ كفى إهانات يا شيخ.. إن لم يكن لديك القدرة على المناقشة بطريقة علمية ومبادلة الحجة بالحجة فغادر هذا المجلس، التجريح للأشخاص علامة ضعف في علمك، الفكرة تُقَارَن بالفكرة يا شيخ ومن ينقصه الفكر والمنطق هو من يتهجم على الآخر بدلاً من مناقشته، فليغادر هذا المجلس كل من أتى للهجوم على الآخرين، فليغادر كل من لا يستطيع احترام معتقدات الآخرين.

وهنا غادر الشيخ يازدي ومعه زُمرة من علماء السُنة..
وصاح "بادوني" عالِماً في الفضاء:
_ هذا يومٌ لا يُنسى، طُرد الشيخ "يازدي" من "عبادة خان"،
كل علماء السُنة كانوا يريدون مغادرة المجلس ولكن معظمهم بقوا خوفاً من غضب "أكبر".
ورد "أبو الفضل":

_ منتهي النفاق، قمة الجُبن، والانبطاح أمام الحاكم.
_ لقد سيطرت يا شيطان على عقله.
_ أنت كنت في المجلس مختبئاً كالجرذ ولم تجرؤ على الكلام.
_ هذا مجلس كُفر.
_ بل مجلس علم.
_ كانت إهانة للسُنة.. إهانة للإسلام.
_ هل كل مناقشة لعقيدتك المتزمته هي إهانة للإسلام.

- __ كان بها خروج عن الإسلام الحنيف وترديد لمقولات الزنادقة.. هذا إضعاف للإسلام.
- __ إضعاف لأفكارك المتمزمتة المغلقة.
- __ ليتنا تمكنا من التخلص من أبيك الزنديق.
- __ أتعترف هنا أنك كنت وراء محاولة اغتياله؟
- __ كان لا بد من إنقاذ الإسلام.
- __ قتلة.. سافكوا دماء.
- __ الإسلام كان في خطر.
- __ هل القتل هو نصرة للإسلام أم تشويه للإسلام؟
- __ نتودد لله بهذه الأفعال.
- __ ومن أعطاك سلطة تكفير الآخر وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله مثلك؟
- __ لأنه كافر.
- __ أكافر.. لأنه على غير مذهبك؟
- __ الكلام معك مضیعة للعمر، كل هذه المؤامرات لتنتقم لأبيك، ليتنا تمكنا منكم على الأرض.
- __ هذه إرادة الله.. لقد هلكت مع زمرك بعد هروبكم من غضب "أكبر".
- __ كل ذلك من وراء دسائسك.
- __ أمركم كان مفضوحاً.. ثراءً فاحشاً.. فساد وجبروت على الخلق.. إعدامات دون سبب.. خلافات فاضحة حول الغنائم.
- __ تخلصتم منا وانفتح البلاط للفسق والكفر.
- __ بل انفتح للسمو بالأديان والتقريب بينها.

- _ لقد هدمتم الإسلام.
- _ بل أعلينا من شأنه.
- _ كان المجلس لتحقير الإسلام.
- _ بل كان علامة فارقة في السمو الفكري وتقبل الآخر.
- _ لو تمكننا منكم لما هُزم الإسلام في الهند.
- _ لو أكمل مربعه لساد الإسلام كل العالم.
- _ لو..
- _ لو..

* * *

أولاد إبراهيم

”رجال الدين أبداً لا يتفقون“

في الفضاء يصيح الشيخ بادوني في وجه الآلة كأنه يريد أن يقنعها، ”أبو الفضل“ يراجع حساباته باحثاً عن بداية الكون وظهور الحياة على كوكب الأرض قائلاً:
_ سر الأسرار، سر الحياة، كيف بدأت، من خلقها؟ أين ظهرت وكيف تطورت؟ هل هناك خالق؟ أين هو وفي أي السماوات؟ السموات عديدة والكون فسيح، المجرات بالآلاف والشموس بالآلاف.. يا لهذا الكون العجيب.. كيف نشأت الحياة؟ أهو الحب؟ أهو التلاقي والتلاحق في جميع الأنواع الحية؟ أهو.....

ويهجم عليه الشيخ ”بادوني“ صائحاً:
_ دورك وأبوك في هدم الإسلام واضحٌ بيّن، من رأسك هذه الكافرة خرجت فكرة مربع ”أكبر“.. كل هذه الألاعيب لطرد وتشريد علماء السنة.
ويرد ”أبو الفضل“ بهدوء:

_ لكنك لم تتفوه بكلمة.. زمرة شيوخ السنة رفضوا المناقشة.. كان كل همهم هو تكفير الآخر.
_ كانت لعبة مدروسة لطرد الشيوخ واستحضار النصاري

واليهود وديانات الهند الكافرة.

_يا شيخ.. "أكبر" بذكائه تفهم أن الحوار بين فرق الإسلام المختلفة مضيعة للوقت.. ولذلك قرر توسيع دائرة الأديان المشاركة في "عبادة خان".

_ هذه حيلة لإضعاف الإسلام.

_ كنتم تقتلون بعضكم بعضاً ، وكلكم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.. أشهرتم سلاح التكفير فلم يعد للحوار أي معنى.

_ الحقيقة أن "أكبر" تأثر بالزراشتية والهندوسية.. لماذا لا تقل الحقيقة.. لقد اعترف...

_ كفى اتهامات يا شيخ.. كان غرضه دراسة الأديان الأخرى لأنه تأكد أن كل دين به أشياء طيبة خيرة يُؤخذ بها ، وسرعان ما أيقن أن الأديان كلها واحد وأصلها واحد ، وأن الشريكمن في رجال الدين.

_ إلا الإسلام فلوحاته محفوظة منذ الأزل.

_ "أكبر" ظل على إسلامه ، وإن كان شغوفاً بالتعرف على الأديان الأخرى.

_ لقد كفر ، كيف يسمح لليهود والنصارى والهندوس بتحدّي الإسلام؟ أرني مربعه الفاسق مع كل هؤلاء الكفرة..

وصرخ في الآلة:

_ مربع "أكبر" .. مربع "أكبر" .. الهند.. حوار الأديان.. عبادة خان.

وجاء الضوء على الشاشة ومؤتمرات عديدة لحوارات

الأديان.. يافطات كبيرة بكل اللغات يتعانق فيها الهلال مع الصليب.. "مؤتمر حوار الأديان"..، "مؤتمر حوار الحضارات"، "مؤتمر الإسلام والغرب"، "مؤتمر الشمال والجنوب"، "الحوار المسيحي الإسلامي"، "مؤتمر الحوار اليهودي الإسلامي"، صلبان وهلال ونجمة داوود في كل مكان، ظهرت قاعات احتفالات فخمة في فنادق كبرى تعج بالشيوخ والقسس والحاخامات، في قاعات أخرى ظهر كهنة بوذيون وهندوس يتحاورون مع كهنة من السيخ واليانين، تقبيل لحي في كل مكان، أحضان باردة وسلامات باهتة، وجوه متجهمة ونظرات متهكمة، الكل ينظر إلى الآخر، والسخرية والتقرز تقفز من عينيه، ملابس الكهنوت المزخرفة كأنهم في كارنفال، اللحي الطويلة تدعو إلى الوقار، على كل رأس عمامة اعتلتها، كأنها تمنع أفكار الآخر من دخول هذه الدماغ، يتكلم أحدهم وراء الآخر، كلما تكلم أحدهم قال إن دينه يحترم ويجل الأديان الأخرى، الكل يقول إن دينه دين الحب والتسامح، الكل يقول إنه يسعى إلى الوفاق والسلام مع الآخرين.

ويسخر "أبو الفضل":

يا للنفاق.. كل هذه الحروب باسم الدين.. كل هذه الغزوات باسم الله.. كل هذه الملايين التي تُقتل لإعلاء شأن أحد الأديان، وفي كثير من المعارك يكون المتحاربون من نفس الدين.

وصرخ "بادوني":

مربع "أكبر".. مربع الكفرة.. السلطان "أكبر"..

الهند.. القرن السادس عشر.. الهند.

أُضيئت الشاشة على حروب تقسيم الهند ، ثم حروب بين الهند وباكستان ، وجاء صوت من جوف الآلة يُعلن انفصال دولة بنجلادش ، المعابد والمساجد تُحرق ، الخلق يموتون في كل مكان ، المذابح تكثر بعد الحروب ، الهراوات تسقط على رؤوس الأطفال والنساء والشيوخ ، تظهر السيوف والعصي وتنتشر الحرائق وتتهار المنازل ، دمار.. فقر.. بؤس في كل مكان ، نظرات حقدٍ وكراهية على كل الوجوه. وصاح "بادوني" : بنجلادش؟ بعد الباكستان.. بنجلادش؟ ورد "أبو الفضل" بهدوء:

_ألم أقل لك إن فكر التكفير والكراهية والتسلط لن يؤدي إلا للحروب والتقتيل.. إن لم تتقبل الآخر سيكرهك ثم يعاديك ثم يقاتلك.
وعاند "بادوني" :

_تكفير الكافر ضروري لحماية ديننا الحنيف ، بدونه يسود التشكيك ثم التضليل الذي تتبعونه أنتم أهل الصوفية ، كلامكم معسول مخلوط بالسُّم ، أشعاركم ساحرة تصيب العقل في مقتل ، لقد تحكمتم في عقل "أكبر" وسيطرتم على إرادته ، "عبادة خان" كان لمهاجمة الإسلام وتحقيره.

_بالعكس.. "عبادة خان" منبع التسامح والمحبة ، لقاء سام لتبادل الأفكار والتقريب بين المذاهب والأديان.
_طرِدتم خيرة علماء السُّنة من المجلس وحل غضب "أكبر" عليهم.

_تصرفاتهم المشينة أغضبت "أكبر" فأمر بمراجعة حسابات كبار الشيوخ فكانت المصيبة، أموال مكدسة، سرقات وإتاوات واستغلال مناصب جعل منهم أصحاب ثروات بعد أن كانوا مُعَدِّمين، صادر كل ممتلكاتهم فهربوا.

_هذه مؤامرة من أبيك، ليتنا تمكنا منه قبل أن يتحكم في "أكبر"، كل هذه الألاعيب التي أعيشها هي انتقام منك.. أرني مربعك المشؤوم.. مكان الغدر والفسق. وصرخ في الآلة الصماء أمامه:

_مربع "أكبر".."عبادة خان".. السلطان "أكبر".. وظهرت على الشاشة نفس القاعة يتوسطها السلطان "أكبر"، الشيوخ يجلسون أمام العلماء، القادة والأمراء أمام الأسياد.

(صمتٌ رهيب يسود المكان)...

ويتكلم "أكبر":

_للأسف كان من الصعب بل المستحيل مواصلة الدرس والبحث في أمور الأديان مع شيوخ الإسلام بفصائله المتعددة والمتشعبة، كثرة الخلافات والأحقاد المتراكمة من عصر الخلافة جعلت من التواصل بينهم أمراً مستحيلاً. لذلك قررنا من اليوم ضم ممثلي الأديان الأخرى إلى عبادة خان.

(صمتٌ رهيب)...

وأكمل "أكبر":

_أذكركم مرة أخرى.. هدفنا هنا هو التعمق في فهم

الأمر الروحية وليس إقناع الآخر، هدفنا الفهم وليس
أبداً إثبات أحقية دين على دين آخر، هدفنا تبادل الآراء
وليس أبداً محاولة إقناع الآخر.
(صمت رهيب)...

وأنهى "أكبر" كلامه:
_ ولذلك يا أحبائي دعوت اليوم ممثلين من الهندوس
والجيزويت المسيحية وممثلين عن الياينة والبراهيمية
والزرادشتية.

(صمت قبور) ...
واضطر "أكبر" لتشجيعهم:
_ من لديه تساؤلات عن هذه الأديان فليسال.
(صمت قبور) ...

وأكمل "أكبر" مشجعاً:
_ ألا تريدون إشباع فضولكم؟ ألا تريدون فهم معتقدات
الأديان الأخرى؟ ألا تريدون تفهم تصرفات الملايين من
أتباع كل ديانة؟
وهنا تشجع راهب هندي وتساءل:

_ نحبي يا مولاي العظيم روح الحب والتسامح التي نلاحظها
في محاولاتكم لتفهم أدياننا وعاداتنا وتقاليدنا،
كذلك هذا المجلس الموقر في بلاط "أكبر"
المُبجل، والآن وقد ازداد حب الهنود لجلالتكم فهم
ينادوك بلقب "مهراجا" أي الملك الكبير.
وبعد صمت...

_ لكن يا مولاي.. نود أن يسود نفس روح المحبة

والتسامح في ربوع المملكة ، الهنود يتساءلون عن مغزى
هذه المناقشات والحوارات السامية بين الأديان والمذاهب
وإجراءات التعسف والتعصب التي يعاني منها المواطن
الهندي في حياته اليومية تجعله يشعر أنه مظلوم بل مقهور.
ورد السلطان "أكبر" بهدوء:

_تحياتي لفخامة الراجا "دب شاند". نحن هنا لمناقشات
فكرية وروحية ، أرجو الابتعاد عن السياسة والحكم
فهذا مجال آخر.
ورد الراجا:

_أدرك يا مولاي جيداً أن الفكر هو مُلهم العمل
السياسي ، لديكم حق.. الفكر أسمى من السياسة.
وقفز "أكبر":

_لكن أين إجراءات التعسف هذه ، وقد أصدرت أوامري
لكل القادة بالتسامح وعدم التفريق بين المواطنين
بسبب الملة أو الدين؟
ورد الراجا:

_قائدك المغوار يا مولاي "حسين قولبي خان" طلب من
الهندوس وضع قطعة من القماش من لون معين على
ثيابهم حتى يمكن تمييزهم من المسلمين ، كذلك
منعهم من وضع سروج فوق خيلهم حين ركوبها.
وصرخ "أكبر": يا للعار.. استدعوه فوراً.
وقال "الراجا":

_ هذه الإجراءات يا مولاي تجعل الهنود يشعرون بأنهم
جنس مُحتقَر ، وتزيد من مشاعر الكراهية بين الهنود

والمُسْلِمِينَ ، وذلك يؤدي إلى حوادث العنف والاقتتال
بين الأهالي.

_معك حق.. معك كل الحق.. لكن لنرجع إلى دراستنا
الروحية لتسود روح المحبة والتسامح.

_لا نستطيع مطالبة الهنود يا مولاي بمحبة الآخرين وهم
يشعرون بالاضطهاد ، المُسْلِمُونَ يعتبرون أنفسهم جنسًا
ساميًا له كل الحقوق حتى إهانة مقدسات الآخرين
وتدنيس معابدهم.

ورد "أكبر" متعجبًا:

_ لقد أصدرت أوامري لمنع هذه التجاوزات القبيحة التي
تسبب للإسلام وتشوه صورته.

_ يا مولاي العظيم.. منذ أيام انتهك "حسين قولي خان"
حُرمة معبد هندوسي ولم يكتف بذلك بل ذبح في وسط
المعبد بقرة بحضور صديقك الراجا "بيربال".
وغضب "أكبر"

_ويلٌ له ولِفعلته القبيحة. لو صدق كلامك يا راجا
فسأعزله من كل مناصبه ، كل من يخالف أوامر
التسامح سيُعزل فورًا ويُعاقب.
وقال "الراجا" راضيًا:

_عين العقل يا مولاي.. سيزيد ذلك من حُب الهنود في
مولاي المعظم.
وأكمل "أكبر":

_ لنكف الكلام في أمور السياسة والحكم وتصرفات

الحكام والأهالي والمشاكل اليومية فهي لن تكف..
لنعود إلى الأفكار السامية والأمور الروحانية.. لنتناقش
ونتبادل الأفكار في الأديان المعتقدات المختلفة.. هذا
هو جوهر وجودنا في هذا المكان.. من لديه تساؤل
فليتفضل.

(صمت قبور)...

واضطر "أكبر" مرة أخرى لإثارة همتهم:

_ أعمال الناس.. تصرفاتهم.. عاداتهم.. تقاليدهم.. معتقداتهم..
كل ذلك ينبع من أفكارهم الدينية التي يتشبعون بها من
صغرهم ثم تسود كل حياتهم، لذلك وجب دراسة وتفهم
هذه الأفكار الروحية التي تتحكم في الملايين.
وهنا قال "أبو الفضل":

_ معك حق يا مولاي.. الفكر هو المؤثر الرئيس في
تصرفات الناس وطريقة حياتهم. لو نجحنا في تقريب
آراء الشيوخ ورجال الدين وكل قادة الأمة ومفكرها
لساد السلام الاجتماعي في ربوع الأمة.
وقال "دب شاند":

_ هناك قوى كثيرة يا مولاي تنشط ضد هذا التقريب.
هنا قال "أكبر" وقد نفذ صبره:

_ أعرف يا راجا، كذلك أعرف أن الكثيرين يحاربون
كل تغيير خوفًا على المناصب والمكاسب، أعرف
كذلك من ينشر الشائعات بأننا نعادي الإسلام ونحارب
المُسلمين، أليس كذلك يا شيخ "عبد النبي" يا قاضي

القضاة في المملكة؟

الشيخ "عبد النبي": حاشا لله يا مولاي.. حاشا لله يا مولاي المعظم.

"أكبر" (غاضباً): ألم تدع بعد جلسة الخميس الماضي بالتمرد ضدي ووصفتني بالسلطان الكافر الزنديق؟ الشيخ عبد النبي: حاشا لله يا مولاي المعظم..

"أكبر": ألم تتهمني بالتخلي عن العقيدة الإسلامية وأعلنت رفع راية الجهاد ضدي؟ ألم تطالب بوضع شقيقي السكير العرييد "محمد حكيم" على العرش لإنقاذ البلاد من الفسق والكفر ودفاعاً عن الإسلام؟

"عبد النبي": عفواً يا مولاي.. كنا في حيرة مما حدث الخميس الماضي وطرد الشيخ "يازدي" من "عبادة خان". كانت صدمة لنا ولعلماء السنة جميعاً فهو قمة في العلم ومرجع في الفقه، تهورنا وأصدرنا بعض الأقوال والبيانات المتسرعة التي ندمنا عليها فيما بعد. عفوك ورضاءك يا مولاي.

وهرول لتقبيل يديه فدفعه "أكبر" بعيداً قائلاً:

— أنا من أُقبِل أيدي العلماء الأتقياء احتراماً مني لعلمهم، ولكن في مجلسنا هذا لا مكان لمن ملأ الحقد قلبه. "عبد النبي": عفوك ورضائك يا مولاي.

"أكبر": يا قاضي القضاة.. نبارك فيك عُمق إيمانك وغيرتك على الإسلام، ولزيادة إيمانك وإكمالاً لدينك نمنحك فرصة الحج إلى بيت الله الحرام على

نفقة الدولة ، سترحل غداً مُحملاً بقافلة من الهدايا
والمنح للأراضي المقدسة والكعبة الشريفة.
وقام الشيخ "عبد النبي" مغادراً :
_ بارك الله في مولاي.. بارك الله في مولاي.
_ حُجَّ مقبول وذنبٌ مغفور يا قاضي القضاة.
وهنا تشجع "صدر الإسلام" قائلاً وهو يقرأ من بيان أمامه :
_ الإمبراطور "أكبر" .. ملك ملوك سلاطين المغول..
موحد الهند ، صاحب الإمبراطورية التي سادت على
الأرض ووصلت إلى السما ، ملك الإسلام ، ظل الله على
الأرض.. "أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بادي شاه
غازي" هو أكثر الملوك عدالةً ومخافةً لله ، وأعظم
الملوك حكمةً وعلماً. من اليوم إذا اختلف المجتهدون
وعلماء الدين في تفسير أمر ديني فسيكون جلالته
بسعة حكيمته وعمق فهمه وتبحره في أمور الدين
المرجع المُؤهل للحكم في هذه الأمور الدينية والمُخَوَّل
له إصدار الفتاوي في أمور العقيدة والإيمان. نحن علماء
الإمبراطورية ووراءنا كل المؤمنين المسلمين سنوافق
على هذه الفتاوي ونعمل بها آملين أن تتفق مع صحيح
القرآن الكريم.. كل ذلك لخدمة المسلمين أجمعين
ولصالح الأمة.

وجاءت أصوات من جانب العلماء :

_ السلطان "أكبر" هو "حجة الله"

_ السلطان "أكبر" هو "حجة الله"

وجاءت أصوات من صفوف الأسياد :
 _ السلطان "أكبر" هو قائدنا الروحي.
 _ السلطان "أكبر" هو مرشدنا الأعلى.
 الكل يهلل في إذعان وذعر ونفاق.. يقف "فايزي" ناشداً :
 شاه بحكمته أصبح المرشد
 محيط لا يفترق عن الله
 نسميه نور الله على الأرض.
 وقام "صدر الصدور" (مزايداً) :

_ بما أن الهندوستان قد أصبحت اليوم مركزاً للإسلام ،
 وبما أنها بفضل مولاي المعظم أصبحت مركزاً للعلم
 والأمان وقدوة في العدالة والخير والإيمان ، نقر نحن
 زُمرة العلماء بأن هدف الآيات التالية : "أطيعوا الله
 وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" ، والحديث
 الشريف : "أحب الناس عند الله يوم القيامة الإمام
 العادل" ، والحديث الشريف : "من يطع الأمير يطعني ،
 ومن يثر ضده يثر ضدي" ، وبما أننا وجدنا أن درجة
 "الإمام العادل" هي درجة أسمى من درجة "المجتهد"
 ولذلك قررنا أن نعطي لقب "الإمام العادل" لمولاي.. "أبو
 الفتوح جلال الدين محمد" "أكبر" بادي شاه غازي..
 أطل الله في عمره وزاد من حكمته وفضله ووسع من
 بحور علومه.

وصاح "فايزي" (ناشداً) :
 تجتمع القلوب حول حُب مليكي
 وتكف الخلافات

تجتمع الحناجر حول إرادة مليكي

فتكف الصراعات

يجتمع الكل حول "أكبر"

فيعم السلام.

ويُسكَّت "أكبر" الجميع قائلًا:

_ يا أحبابي.. النفسُ التي يتملك منها الحقد هالكة.. دعونا
نعود إلى أمورنا الروحية ودراستنا الدينية، اليوم نقدم
لكم "الجزويت" ممثلي الديانة المسيحية، وقد أرسلهم
ملك البرتغال في "جاوة" حسب طلبي للمشاركة في
مناقشاتنا، وهم الأب "مونتسيرات"، والأب "هنريك"،
والأب "رودلف أكوافيفا"، وأطلب منكم جميعًا
احترامهم ومعاملتهم كإخوة في الدين.. وتذكروا.. لقد
حضرُوا استجابة لمطلبي.. وأنا أكُنُّ لهم معزة خاصة بعد
رفضهم (800) قطعة من الذهب لتغطية نفقات رحلتهم،
مقارنة بغيرهم من رجال الدين الذين يكلفون الخزنة
الكثير من الأموال ولا يكفون عن الصراع بينهم في
سبيل المناصب والمكاسب رغم ثرواتهم الطائلة.. هذا
هو ما أسمو إليه.. أن يكون رجل الدين قدوة.

واليوم أيضا أقدم لكم العالم القدير "مانيارزي" عالم

الزورو الشهير. لنبدأ الحوار.

(صمت قبور... فترة)...

وأكمل "أكبر":

_ ألا يريد أحدكم التعرف على مُعتقد الآخر؟

ألديكم تساؤلات عن مُعتقدات الأديان الأخرى؟
(صمت قبور)...

وصرخ فيهم "أكبر":

_ أين علمكم؟ أين فضولكم؟ هل استوعبتم كل
المعارف والأديان ولا تريدون المزيد من العلم؟
_ وهنا قال "أبو الفضل":

_ أنا تحيرني الزرادشتية يا مولاي.
ورد "أكبر" (مبتهاً):

_ زرادشت حكيم فارسي يؤمن بوجود إلهين لا يكف
الصراع بينهما.. إله الخير.. وإله الشر.
وارتفعت همهمات الشيوخ:

_ أستغفر الله العظيم.

_ سبحان الله العلي القدير.

_ هذا كُفرٌ واضح.. هذا شركٌ مبين.
وأسكتهم "أكبر":

_ هناك العديد من الأديان غير السماوية يجب تفهمها
وتقبلها فأتباعها بالملايين.. نحن هنا للفهم والدراسة
وليس أبداً لمهاجمة وتجريح مُعتقدات الآخرين.
وقال شيخ:

_ ستفتحون علينا أبواب الجحيم.. هل من المعقول أن
يكون هناك أكثر من إله؟ هذا شرك.
وهنا قال الشيخ "مبارك":

_ المقصود أن الخير والشرف في كل نفسٍ بشرية.. يا شيخنا

المعظم.. والصراع بينهما داخل كل فرد لا يتوقف.
وأكمل "أبو الفضل":
_ "النفسُ أمارَةٌ بالسوء"، وكلما تقدم الإنسان في الرقي
كلما حاربت نفسه إمارَةَ السوء ونحت نحو الخير والمحبة.
_ وتشجع شيخٌ آخر متسائلاً:
_ في الهندوسية.. ما سر تقديسهم للبقرة؟
وقال دب شاند:
_ البقرة مُقدَّسة لأنها رمز الحياة والعطاء والسكينة..
إنها تعطي الألبان التي تغذي الصغار والكبار.. وهي
رمز الوديعَة تأكل الأعشاب ولا تضر أحداً.. أليس
البقرة مُقدَّسة في القرآن؟ الله يكن لها احتراماً خاصاً
فلها سورة في القرآن الكريم.
وجاء من صفوف الشيوخ صوتٌ هائم:
_ اخرس يا كافر.. ولا تذكر القرآن الكريم على
لسانك.. وإلا قطعته.
ضاع الصوت بين صوت شيخ آخر يتساءل:
_ الثالثُ المسيحي.. الثالثُ عند الدين المسيحي.. هل
من المعقول أن يكون هناك ثلاثة آلهة؟ وكيف يكون
المسيح عيسى ابن مريم هو ابن الله الذي لم يلد ولم
يُولد ولم يكن له كفواً أحد؟
ورد الأب "أكوا فيفا":
_ الثلاثة هم واحد.. إلهٌ واحد.. نحن لا نجمع واحد زائد واحد
زائد واحد ليكون المجموع ثلاثة، نحن نضرب واحد في
واحد في واحد والنتيجة هي واحد.. إلهٌ واحدٌ آمين.

وهام صوت بين صفوف الشيوخ:

_ اضرب يا كافر.. ضربة واحدة من سيفي كافية لفصل
رأسك عن جسدك. لولم تكن في حماية "أكبر".. يا
للكافر.

وسأل شيخ:

_ هل "يسوع عيسي" ابن الله؟ وكيف وُلِدَ من عذراء؟
_ وكيف يظهر الإله في صورة بشرية؟
ورد الأب "هنريك":
_ العذراء "مريم" مُقدَّسة في القرآن، لقد حبلت بالروح
القدس ولم يلمسها رجل.

_ كيف نصدق كل هذه الأمور الغريبة؟
ورد الأب "مونتسرات":

_ الإيمان هو الإيقان بأمور لا تُرى.
_ شيء يصعب تصديقه.

_ هذا هو جوهر الإيمان.. كيف يؤمن المسلم بالإسراء
والمعراج وهو شيء خارق للطبيعة.. إنها معجزات
الأنبياء.. هذا هو جوهر الإيمان.

_ وعبداء النار.. المجوس. كيف يعبدون النيران وهي قد
تشتعل ثم تخدم؟

ورد "داستير مهراجي رانا":

_ الشمس هي مصدر الحياة على الأرض.. وهي التجسد
الأكبر لعظمة الإله وقدرته.

_ إنهم يسجدون للشمس كل صباح.. السجود لغير الله
كُفْرٌ وشرك.

وقال "أكبر" منشراحًا:

_ ليملاً نور المعرفة قلوبكم جميعاً.

وقال "أنريكو فرانسيسكو":

_ أتفهم مشاعر شيوخ الإسلام، فأنا كنت مجوسياً

مؤمناً بكل عقائد المجوسية قبل اعتناق المسيحية.

_ هل تريدنا أن نفعل مثلك؟

_ هل تريدون تنصيرنا؟

_ هل تريدون أن نؤمن بكل الأديان؟

_ ورد "فرانسيسكو" بهدوء:

_ قد يكون الإنسان على خطأ.. الإيمان الأعمى بشيء

ما دون النظر والبحث والمقارنة يسد الأفق ويمنع من

التحليق في سماء الحقيقة.

وهنا قال الشيخ "قطب الدين":

_ يبدو أنكم دارسون للقرآن الكريم، عارفون بأمور

الإسلام، ونحن لا نعرف شيئاً عن دياناتكم وملتكم.

وقال "صدر الصدر":

_ نعم.. "الجزويت" لديهم ترجمة لاتينية للقرآن الكريم

ولكن نحن معرفتنا محدودة بالإنجيل والتوراة.

_ نحن في موقف حرج فليس لدينا المقدرة على النقاش.

_ لنسحب من هذه المهزلة بكرامة.

وصاح الشيخ "قطب الدين":

_ لماذا لا نطلب التحكيم الإلهي؟ ليتقدم أحد "الجزويت"

ويدخل النار معي حاملاً أنجيله، وأنا **حاملاً** للقرآن

الكريم.. سنرى مَنْ مِنَّا يخرج من النار سليماً، هنا

سنثبت أي كتاب هو كتاب الله.

_ ورد الأب "هنريك" بهدوء:

_عجباً.. ظننتُ أننا حضرنا للمناقشة وتبادل الأفكار،

حضرنا من بعيد لجلسات روحية ولا نريد إثبات حقيقة
وتفنيد حقيقة أخرى، لا نريد نيراناً وسفك دماء.

وقال "قطب الدين" متحدياً:

_ هذا دليل قلة إيمانكم بمعتقداتكم.

ورد الأب "هنريك":

_حَيْل دخول النار والخروج منها بسلام معروفة من أيام

نبي الله "إبراهيم" عليه السلام، فهو قد خرج سليماً من

النيران. وفي التوراة ألقوا بـ"شدرخ" و"ميشخ" و"عبدنغو"

في النار وخرجوا منها سالمين، وهم من منطقة

البطائح المعروفة بقدرة أهلها على دخول النار بعد

طلاء أجسادهم بدهن الضفادع وباطن قشور النارج

وحجر الطلق فلا تؤثر النيران في أجسادهم.

وأكمل الأب "مونتسرات":

_وكذلك القرامطة مارسوا هذه العادات لجلب المريدين

إلى صفوفهم ومن بعدهم الرفاعية الذين مارسوا

سحرهم على البسطاء ليتحكموا فيهم.

وقال "أكبر" (ساخطاً):

_ هل تعتقد يا شيخ "قطب الدين" أن هذا انتصار للإسلام؟

نحن هنا للنقاش وليس للفوز والغلبة وقهر الآخرين، أخرج

من حضرتي فلا مكان لك بين العقول المتفتحة، وحين

خروجك اذهب فوراً إلى الحج علك تكمل دينك.

وحاول "صدر الصدور" تهدئة "أكبر":

_ المُسلمُ غيورٌ علي دينه يا مولاي.

_ ما كل هذا التعصب والتزمت؟ ألا يوجد بينكم شيخ واحد يتقبل المناقشة؟ ألا يوجد بينكم شيخ واحد يسعى إلى المعرفة؟ لقد بعث لنا المولى بكتابه الكريم وأولى كلماته: اقرأ.. اقرأ.

_ نحن عاجزون عن مناقشة أمور دينية لا نعرفها.

_ لقد رفضتم الشيعة والصوفية وهم ناطقون بالشهادة، موحدون مثلكم ومن دينكم.. واليوم تريدون حرق وقتل من جاء للمناقشة من رجال الدين الآخرين؟ وهنا قال "صدر الصدور":

_ يا مولاي.. الشائعات تملأ المدينة بأنك تنصّرت، وأنك قبلت هدايا "الجزويت"، بأنك حضرت قداسهم يوم الأحد وقبّلت الإنجيل.. وأن صور العذراء مريم تملأ حجرات القصر. وصاح "أكبر" (غاضباً):

_ يا للجهل.. تقديري للمسيحية والهندوسية لا يقلل من عمق إسلامي، رغبتني في دراسة الأديان الأخرى يزيد من إيماني، الإسلام يدعونا للعلم والمعرفة.. الوحي بدأ بكلمة اقرأ. وخرج صوتٌ غريب من فم "صدر الصدور":

_ الهند هي أرض الإسلام يا مولاي.. السماح لـ "الجزويت" بدخول مُدنها هي بداية للتصير كما فعلوا في بلادٍ أخرى غزوها ثم أجبروا سكانها على التصير. ورد "أكبر":

_ الإسلام يدعونا لاحترام أهل الكتاب من الأديان

الأخرى، نحن هنا لدراسة هذه الكتب.. لا نريد مطلقاً إثبات صحة أي كتاب.

_ "الجيذويت" يحتقرون القرآن يا مولاي، ويقللون من شأنه. وقال الأب "هنريك":

_ نحن نحترم القرآن الكريم كما نحترم الأديان والمذاهب الأخرى. وقال "أكبر":

_ إنهم لا يجيدون لغة القرآن حقاً، وهم يتكلمون عنه بلغة مُخالفة لما تعودنا وتعودتم سماعه، ولذلك يبدو لكم أنها إهانة لكلماته الجليلة.. حقاً إنها لغة غريبة على أذانكم التي تعودت لغة القرآن. وقال الأب "مونتسرات":

_ نحن نجهل عادات وتقاليد المسلمين يا مولاي.. عذراً إن كنا جرحنا مشاعرهم. ورد "أكبر":

_ ونحن أيضاً نجهل عاداتكم وطقوسكم.. بالأمس حضرتُ قُداسكم.. لقد أكلتم وشربتم ولم يعزم عليّ أحد. _ لم يكن مأكلاً أو مشرباً يا مولاي.. القُداس أمور رمزية فالتناول هو أكل جسد المسيح الحي، والنبيد هو رمز دمائه التي سالت على الصليب.

وجاء صوتٌ من زُمرة الشيوخ:

_ الخمر حرام في الإسلام.

_ تناول الخمر حرام على أرض الإسلام.

وردد الأب "هنريك" :

_ النبيذ الأحمر هو رمزٌ لدم المسيح الحي.

وجاء الصوت المهمهم:

_ يشربون الدماء.. يأكلون لحوم البشر.

وصاح "صدر الصدور":

_ هل صحيح يا مولاي أنهم يشيدون كنيسة في لاهور؟

ورد "أكبر":

_ الإمبراطورية ترحب بكل الأديان.. ليتعايش الجميع في

محبةٍ وسلام.. التسامح هو شعار الإمبراطورية.. تفهم

الآخر واحترامه هو مبدأنا.

وتابع "صدر الصدور":

_ هل صحيح أن الأمير "سالم" يعلق صورة العذراء في

غرفته؟

وأكمل الشيخ "سولتامبوري":

_ هل صحيح يا مولاي أنهم يتولون تربية الأمير "سالم"؟

وزاد "صدر الصدور":

_ لو تنصر الأمير "سالم" وارث العرش لكان ذلك نهاية

الإسلام في الهند.. بناء كنيسة في لاهور سيفتح الباب

للتبشير بالنصرانية كما كان الأمر في "جاوة".

تسلح "أكبر" بالصبر قائلاً:

_ كفى هجوماً يا مشايخ الإسلام.. تهاجمون كل شيء..

حاولوا التواصل والحوار مع الآخرين.. كفوا عن التجريح.

غَيَّر "صدر الصدور" الموضوع متسائلاً:

— هل صحيح أن بابا الفاتيكان هو خليفة المسيحيين؟
هل كل مسيحي خاضع لسلطان البابا؟
هل يتحكم البابا في ملوك بلاد الفرنجة؟
وأكمل مخدوم الملك:
— هل سلطة البابا تفوق سلطة الملوك؟
هل حقاً أن للفاتيكان جيوشاً؟
هل حقاً أن الفاتيكان يخوض حروباً مع ممالك أخرى؟
هل صحيح أن البابا وسيط بين الله والناس؟
هل صحيح ما نسمع عن حياة الترف والبذخ داخل
الفاتيكان؟
هل صحيح ما نسمع عن فساد الفاتيكان وحياة الرذيلة
داخل قصور البابوات والكرادلة؟
هل حقاً يبيع البابا صكوك الغفران ويضمن الجنة لمن
يدفع له؟
ورد الأب "أكوافيفا" بهدوء:
— للفاتيكان مصالح وصراعات كغيرها من المدن
والممالك خاصة في إيطاليا.. نعم.. كثيرٌ من رجال
الدين غارقون في الفساد وحياتهم مليئة بالملذات
والشهوات الجسدية.. ذلك يحدث في كل زمان
ومكان.. ودعوات الإصلاح تنتشر في كل مكان.
وأكمل الأب "هنريك":

— المسيحية أقامت ممالك، ورجال الكهنوت يعيشون في
قصور، بينما السيد المسيح عاش ومات فقيراً مُعْدِماً،

وهو من قال: مملكتي هي في السماء وليست على هذه الأرض.. ونحن نرى أن رجال الدين الذين يشيدون القصور ويعيشون في بذخ لا ينفذون تعاليم المسيح، ما نراه في الفاتيكان من ثراءٍ فاحش يوجع قلوب معظم المؤمنين. وقال مخدوم الملك غير مُصدّق:

_ هذه ألعيب لخداعنا.. إنهم يملكون مُدناً بأكملها، يكدسون ثروات هائلة يجيشون بها الجيوش التي تهاجم بلاد المسلمين. وقال "صدر الصدور":

_ كنائسهم مليئة بالذهب والنفائس، قصورهم رمزٌ للفسق والفاحشة، حملاتهم الصليبية على القدس خير مثال على عدائهم للإسلام والمسلمين. نفذ صبر "أكبر" فصاح:

_ كفى.. كفى.. هذا زُجٌ بالسياسة في أمور الدين وخلطٌ للدين في أمور سياسية، وأنتم يا شيوخ الإسلام، ألا تجمعون الثروات؟ كل منكم يشن حروباً على الآخر وأحياناً يُكفره ويصادر أمواله ليتسع نفوذه؟ كم منكم انكشف أمره لنهب أموال الفقراء وبيوت اليتامي؟ قام مولانا "عبد الله سولتامبوري" معترضاً:

_ حاشا يا مولاي.. علماؤنا وشيوخنا أتقياء ورعون. وهنا انفعِل "أكبر" صارخاً:

_ يا مولانا.. أعتقدون أن الأعيابكم تخفي علينا؟ ألا تتلاعب بنفسك في رواتب العلماء؟ كيف تفسر حجم ثروتك الضخمة وحين عينتك في المنصب كنت لا

تجد قوت يومك.

هب "صدر الصدور" مدافعاً:

_مولانا "عبد الله" يا مولاي مُسَلِّمٌ ورع نظيف اليد وعلمه
لا حدود له.

_أتدافع عنه لأنه ناصرك في صراعك مع مخدوم الملك؟
_مخدوم الملك فقد عقله يا مولاي.. إنه يوزع منشورات
مريبة يتهمني باغتيالات لا يد لي فيها.

وقام مخدوم الملك يدافع عن نفسه:

_هناك شهود على مؤامراتك.. لك أعداء كثيرون تحاول
التخلص منهم وقد أعطيت أوامر بالقتل.

ورد صدر الصدور:

_تتهمني محاولاً إخفاء ثرواتك الضخمة التي جمعتها
من استغلال منصبك واستيلائك على أموال من خزينة
الدولة دون وجه حق.. يا مولاي لقد أصبح لديه جيش
يفوق جيش الإمبراطورية، جيش جرار.. كيف يدفع
رواتبه؟ كيف يطعمه؟ كيف يسيطر على جنوده؟

وصاح مخدوم الملك:

_أنت يا من سرقت أموال اليتامي.. أتجرؤ على اتهامي
بالفساد.. واستيلائك على أراضي الدولة أمر معروف
للجميع.

_كيف تقول هذا وأنت دائماً وأبداً في حالة من السكر..
حياتك فسقٌ وفجور.. سكرٌ وعريضة.. كم خطفت من
نساء الهنود؟ كم هتكت من الأعراض؟

وقال راهب بوذي:

_عجباً يا مولاي.. رهبان البوذية لا يمتلكون حتى طعامهم..
العامّة يتفضلون عليهم ببعض الطعام كل يوم.
وقال "أبو الفضل":

_والصوفية كذلك يا مولاي، يلبسون الخيش ويعيشون
على الكفاف.
وقال الأب مونتسيرات:

_كذلك رهبان الدومينيكان.. يلبسون الخيش
ويمارسون حياة التقشف.
الكل ينظر إلى شيوخ الإسلام...
وهنا قال الشيخ عبد الله:

_قلت لكم منذ البداية إنها مصيدة فيها هلاكنا.. فخُ
نُصب لنا جميعاً.
_وهنا قال الشيخ "مبارك":

_أيها العلماء الأجلاء.. نحن هنا لدراسة الأديان.. كلما
حاول السلطان "أكبر" إفهامكم بغرضه النبيل
لدراسة الأديان، كلما تطاولتم على الآخرين حتى
انتهيتم بالتقاتل فيما بينكم.
وقال "أكبر":

_عجبي.. لقد فشلت في محاولتي.. من المستحيل إجبار
رجال الدين على التناقش بمحبة وتسامح مع غيرهم من
رجال الدين.. أستم جميعاً من أبناء إبراهيم عليه السلام؟
وقال مبارك:

_ النبي إبراهيم أبو الأنبياء.
وأكمل "أكبر":

_ أليست الديانات السماوية من أصل واحد؟ وهدفها
واحد؟ لم كل هذه الكراهية؟ شيءٌ عجيبٌ حقًا.
وهنا قال "أبو الفضل":

_ يا مولاي.. الديانات السماوية من أصل واحد، كلها
تدعو إلى تهذيب الإنسان والرقى بالجانب الروحي
ليتحكم في تصرفاته لدفعه لفعل الخير، لكن رجال
الدين شيءٌ آخر، رجال الدين لن يتفقوا أبدًا.
وقال "أكبر" متحسرًا:

_ أحيانًا أتساءل إن كان رجال الدين يؤمنون حقًا بالدين،
يكررون كلام الله وتصرفاتهم كلها لمصالحهم
الشخصية مما يدفع العامة لكره الدين.
قال "أبو الفضل":

_ الأديان تتفق بينها يا مولاي في أمور كثيرة، أما رجال
الدين فمستحيل.
وتسأل "أكبر" حائرًا:

_ ولكن كيف نوفق بين الأديان بدون معاونة رجال
الدين؟ كيف ندعو إلى التسامح ورجال الدين يكره
بعضهم بعضًا؟ كيف ندعو إلى المحبة ورجال الدين
يحضنون على قتل الآخر؟

وفي الفضاء، على بُعد سنوات ضوئية هوت يد الشيخ
"بادوني" على الآلة لتُسكِتها وهو يصيح:

_ اليوم فهمت المؤامرة. هكذا تخلص "أكبر" من شيوخ

الإسلام، هكذا أرسلهم إلى الحج الواحد بعد الآخر
وصادر ممتلكاتهم ليخلو له السبيل لهدم الإسلام
ونشر الفسق والفجور، هكذا أصبح سلطان الحكم
وحجة الإسلام لأول مرة في التاريخ.
ورد "أبو الفضل" عليه بهدوء:
_لقد فضحوا أنفسهم.. تقاتلوا أمام الجميع فظهرت
عوراتهم وكانت نهايتهم.
_كل هذا من مؤامرات أبيك.. آه لو تمكنا منكم على
الأرض.
_ آه لو أكمل إصلاحاته قبل أن يقع في مؤامراتكم.
_ لو تمكنا منه لانتشر الإسلام وساد الهند.
_ لو أتم إصلاحاته لساد الإسلام بالتسامح.
_ لو..
_ لو..

* * *

لندن ستان

”من اليهودي التائه إلى المُسلم الإرهابي“

تسبح المركبة هائمة في الفضاء الفسيح.

يقلب "أبو الفضل" حساباته الفلكية:

_خمس سنوات ضوئية تعيدنا للعصر الحجري، سبع

سنوات ضوئية سنرى الضوء المُرسَل من كوكب

الأرض في العصر الـ..

يقاطعه "بادوني" صارخاً:

_لعنة الله عليك وعلى علمك الذي أضاعنا في الفضاء،

عُد بنا لعصر "أكبر" لنرى كيف أضاع الإسلام؟

كيف نفى شيوخ الإسلام؟

صرخ في الآلة:

_شيوخ الإسلام.. عصر السلطان "أكبر".. المؤامرة على

الإسلام.

على الشاشة تظهر مدينة لندن أواخر القرن العشرين،

بهو فخيم تنتشر في أركانه صالونات كابيتونية، ويظهر

من النافذة نهر التايمز والبواخر السياحية تمر في هدوء،

على الكراسي الجلدية الفسيحة جلس رجالٌ بحلٍ سوداء

وربطات عُنق غامقة وأحذية جلدية راقية تلمع في الأضواء

المخملية ، يدخلون السيجار ويحتسون الكؤوس مستمتعين
بعد عشاء دسم.

قال أحدهم:

_جيوشنا انسحبت لكن سيطرنا كاملة على هذه
البلاد. انتهى عصر القوة العسكرية ، نحن في عصر
حروب الجيل الخامس.

ورد آخر:

_العصر عصر حروب العقول وتدمير النفوس.. عملاؤنا
في المنطقة يفعلون أفضل من مندوبنا السامي.

وقال آخر:

_اليوم المشكلة هي مزاحمة العم سام.. إنهم أغبياء
لا يفهمون اللعبة.. أبناء العم سام وأحفاده يعجبون
بالكابوي.

_لا بد من مشاركتهم.. لديهم اليد العليا.. لنصبح
شركاء لا منافسين.

_ لنعلمهم وندريبهم.. إنهم يتعلمون بسرعة.

_رأيت أن المشكلة الخطيرة تكمن في أجيال الشباب
الصاعد ، إنهم يرسلون بهم إلى جامعاتنا ومعاهدنا
العلمية ، هذا خطرٌ فادح.

_أوافقك.. اليابان أخذت تقدمها التكنولوجي منا ثم
تفوقت علينا.

_والآن الصين تتقدم بسرعة هائلة وحتى كوريا الجنوبية.

_أسيا شيء.. والشرق الأوسط شيء آخر ، إنهم يحاربون
كل من عاد بفكرٍ جديد وكل من حاول تحسين

- الأمور في بلادهم.
- _ حقاً.. لديهم قوة طاردة للعقول النابغة.
- _ ونحن نعمل اللازم لجذب هذه المواهب.
- _ كل علمائهم وكل النابغين منهم يعيشون في الغرب.
- _ وكل أموالهم في بنوكنا.
- _ لا بد أن يظلوا في العصور الوسطى، لا تنسوا الأندلس وحصار الأتراك لـ"فيينا".
- _ رجال الدين عندهم يهدمون كل محاولة للتوير.
- _ بدون فكر التوير سيظلون مجرد مُستخدمين لأدوات العصر الحديث دون الوصول إلى الحداثة.
- _ حقاً.. يمتلكون كل أدوات العصر ويستخدمونها لتجهيل الشعب وإبقائه في عصور الظلام.
- _ كلما طرأت على خطوطهم الجوية، تساءلتُ عن معني الآية التي تظهر على الشاشة قبل الإقلاع.
- "سبحان الذي سخر لنا هذا ..."
- _ إنهم يسبحون لبوينج.
- _ أو إيرباص.
- _ عجبي.. خدمتُ في القاهرة وبغداد ثم كابول من الخمسينيات إلى السبعينيات، كل العالم يتقدم وهم يعودون إلى العصور الوسطى.
- _ إنها ثوابت الأمة.. عادات وتقاليد نابعة من الأديان يتبادلونها عبر الأجيال.
- _ إنها تضع أرجلهم في قوالب من الحديد المُسلَّح ومعها لن يتحركوا.

- __ يقولون إنها صالحة لكل مكانٍ وزمان.
- __ ولكنها لا توافق مبادئ العصر الحديث.. لا تتماشى مع قيم المجتمع المتحضر.
- __ هل استلمت خطة "بريجينسكي" الأمريكي لتجنيدهم ضد الروس في أفغانستان؟
- __ إشارة إلى أولادنا وسيدفعون بعشرات الآلاف من الملتحين لمقاتلة الكفرة.
- __ فكرة الدفاع عن أرض الإسلام ضد أي غزو أجنبي تسحرهم وتبهرهم.. إنها فكرة عبقرية.
- __ روسيا لديها فرق شيشانية، حتى هتلر كان لديه فرق إسلامية يقودها نازي ألماني مُسلم.
- __ حتى نابليون بونابرت أعلن إسلامه في مالطة قبل غزوه لمصر.. تقبلوه لأنه مُسلم، سمى نفسه محمد نابليون.
- __ تسليحهم وتدريبهم على القتال فيه خطورة، قد يعودون إلى بلادهم لهدم العروش التي تخدمنا.
- __ بالطبع هناك فصائل قد تخرج عن الطوع ولكن لا تقلق.
- __ قد يخرجون عن طوعنا.
- __ قد يضربون في أوروبا.
- __ كل أمرائهم وزعمائهم هنا في لندن.
- __ كل أموالهم في بنوكنا.
- __ العهد بيننا قائم، حمايتهم مقابل تعهدهم بعدم القيام بأعمال إرهابية في بريطانيا العظمى.
- __ قد يضربون في أوروبا خاصة فرنسا وبلجيكا.. أعداد

المُسلمين لديهم يتزايد.

_ لا مفر من خطة "بريجنيسكي" .. أمريكا لن ترسل جنودها مرة أخرى لتحارب في آسيا .. عقدة فيتنام تشل حركتهم.

_ الروس أغبياء .. لم تستطع قوة على مر التاريخ السيطرة على أفغانستان ، حتى السلطان "أكبر" بعظمته فشل ومن بعده إمبراطوريتنا السامية التي كانت لا تغرب عنها الشمس.

_ حتى في الليل؟

_ الآن تغرب طوال اليوم.

_ تغرب سنين بأكملها.

_ هذه ليست دولة كغيرها من الدول ، أفغانستان جبال وعرة وقبائل متحاربة منذ الأزل ، اقتصادها تهريب وزراعة مخدرات .. ولا يُعرف عنهم سوى أنهم محاربون أشداء وقادتهم يطلقون على أنفسهم أمراء حرب.

_ ستكون فيتنام الروس.

_ أفغانستان دائماً وأبداً مقبرة للغزاة.

_ لست مطمئناً لتسليح الإسلاميين .. إنهم يحلمون بغزونا.

_ قد يهددون أمن إسرائيل.

_ هناك مخططات الشرق الأوسط الجديد لحماية إسرائيل.

_ مخططات برنارد لويس جاهزة لتقسيم بلادهم.

_ عودة الخميني لإيران ستشعل صراع السنة مع الشيعة حتى يتناسى الجميع الصراع العربي الإسرائيلي.

- _ لا أصدق أننا تخلينا عن الشاه رجلنا في المنطقة.
- _ انتهى دوره كرجل شرطة.. خوميني دوره أهم ، وحده سيقسم عدة بلدان عربية ويهدمها.. سيشعل المنطقة.
- _ هناك تركيا في الشمال وهي سُنية ولها مطامع في عدة بلاد عربية.
- _ لنخلق حاكمًا ذا مرجعية إسلامية لإعادة الخلافة التركية على العالم الإسلامي.
- _ أوروبا ترفض تركيا وتكرهها ، لا بد أن تتوجه إلى استعادة نفوذها على العالم العربي والإسلامي.
- _ كان أسوأ استعمار عانت منه هذه البلاد.
- _ لقد أبقتهم في عصور الظلام وما زالت لها مزاعم ومطالب في العراق وسوريا حتى في ليبيا.
- _ الخلافة سقطت في إسطنبول ، لنجد من يبعثها في إسطنبول.
- _ الإسلام أفضل أيديولوجية للسيطرة على البلاد العربية.
- _ لا تنسوا أننا أقمنا وشجعنا النزعة العربية لطردهم.
- _ قادرون على أحياء لورانس العربي مرة أخرى.
- _ إيران شيعية في الشرق ، وتركيا سنية في الشمال ، لن يتبقى أمام دول الخليج إلا الاحتماء بالأمريكان والغرب.
- _ لو سحبت أمريكا قواتها من المنطقة لن يتبقى أمامهم إلا التحالف مع إسرائيل نفسها.
- _ سيأتي يومًا ما ويقرر رئيس أمريكي سحب كل جندي أمريكي خارج المنطقة ، فينتام أنهكت الاقتصاد الأمريكي.

- _ هنا سيأتي دور إسرائيل للوقوف في وجه إيران.
- _ زادت مبيعات الأسلحة بعد إعلان خوميني مبدأ تصدير الثورة الإسلامية.
- _ الشيعة في البحرين، وفي الشرق السعودي الغني بالنفط، ثم في العراق وسوريا ولبنان، حتى في اليمن.
- _ الصراع بين إيران والسعودية محتوم.
- _ سيكون أولاً في العراق ثم سوريا ولبنان واليمن.
- _ عجباً.. هذه الكراهية بين المسلمين.
- _ هناك مئات الفرق والمذاهب والنحل التي يُكفر بعضها بعضاً ولا تضيع فرصة للفتك بالآخرين.
- _ وهل نسيت الحروب الدينية بين المسيحيين في "سان بارتيليمي" في فرنسا.. قام الكاثوليك بذبح الأهالي البروتستانت كالمعيز.
- _ كان ذلك في العصور الوسطى.
- _ أول أمس حدث نفس الشيء في "أيرلندا"، حتى الأطفال تعرضوا للقتل.
- _ الدين قوة غاشمة تفعل المعجزات في النفس البشرية.
- _ أفضل سلاح معنوي لتجيش الجيوش وحشد الهمم.
- _ شيء غريب.. القتل باسم الدين.. التقاتل تحت راية الدين.. يقتل بعضهم بعضاً صارخين "الله أكبر".
- _ السنة يكرهون الشيعة أكثر من كراهيتهم للنصارى واليهود، والشيعة لا يريدون إلا الثأر للحسين، لو أشعلنا هذا الصراع ستبقي هذه المنطقة في حروب لعدة قرون.

_ يلزمنا عدة صراعات.. فمصانع السلاح مُهددة بالإفلاس.
 _ نرفع نخباً في صحّة الشرق الأوسط الجديد.
 _ في صحّة الشرق الأوسط الجديد.
 _ في صحّة الشرق الأوسط الجديد.
 _ ولكن هناك مصر.. هل نسيتم مصر؟
 _ حقاً.. أنها شوكة في حلقنا.
 _ رغم معاهدة السلام مع إسرائيل لا تزال قوة أبية تحفظ
 توازن المنطقة وقد تتصدى لمخططاتنا.
 _ معاهدة السلام انتهت لسلام بارد مُجمّد.
 _ لا بد من شيء أقوى لإنهاك مصر، هي المحك في المنطقة.
 _ مصر راسخة منذ الازل.
 _ كل محاولات تقسيمها باءت بالفشل.. أقباط مصر
 أغبياء لا يريدون التعاون معنا.
 _ حقاً.. كل الإغراءات فشلت. يتلاحمون مع المُسلمين
 رغم الاضطهاد الذين يتعرضون له.
 _ غريبٌ أمرهم.. كنيساتهم حرّمت على الأقباط زيارة
 القدس.

_ فشلنا في التفريق بين المُسلمين والمسيحيين ولكن لا
 تنسوا الإخوان المُسلمين.
 _ الإخوان لعبتنا.. سنقسم مصر بين مُسلم وإخواني.
 _ الإخوان ينتظرون دورهم، ولكن لا بد من إشعال فتنة
 بين المُسلمين والمسيحيين.
 _ هذا أمرٌ هين.. الجماعات الإسلامية جاهزة بتمويل
 سعودي، عدة فضائيات قبطية في الخارج لمهاجمة الدولة.

_ السادات قام بالمهمة من قبلنا ، أخرج الإخوان من
السجون وأطلق يدهم في الشوارع والجامعات لسحق
قوى اليسار التي كانت تعارضه.

_ ولكنها قتلتته.. هذا ما أتخوف منه.. هذه النعرة الإسلامية
ستعيد الأتراك إلى الحقبة العثمانية.. سيسيطرون على
المنطقة.

_ ورقة العروبة انحرقت.. لا أحد يؤمن بالوحدة العربية؟
_ لا تقلق ، هناك دائماً وأبداً النعرات الفينيقية والآشورية
والفرعونية والأمازيغية والبربرية والقبائلية.

_ هذه النعرات ستسهل حركات الاستقلال والانفصال
لدى الأقليات مما سيخلق دويلات صغيرة في المنطقة.
_ الإسلام لا خوف منه.. سنخلق فصائل عديدة ستتقاتل
فيما بينها وتُكفّر كل منها الأخرى.
_ سينتشر الإلحاد.

_ هل نسينا القوى العلمانية المختلفة في هذه البلاد؟ لقد
تخلينا عنهم.

_ هؤلاء المثقفون وخاصة المتعلمون في الغرب هم أمل
المستقبل.

_ حالمٌ.. لقد انتهى دورهم.. لم يفلحوا في تحديث المجتمع
فكانت الغلبة للفكر الإسلامي.

_ يقضون كل وقتهم في معارك فكرية ضحلة وعقيمة.
_ يتقلبون حول المذاهب ويتلونون حسب من يدفع.

_ بعد سقوط فكرة العروبة تحول معظم اليساريين الي
إسلاميين دون رمشة جفن.

_الأموال السعودية تشتري الأقلام والصحف وتؤسلم
العقول، الوهابية المتمزمة تمتد للبلدان العربية حتى
الإفريقية.

_ الطبقة الوسطى تنهار في هذه البلاد.
_ هم ورقة يمكن الرهان عليها.. نحتاج إليهم لترويج
مخططاتهم.

_ وما هي مخططاتنا؟
_ دائماً وأبداً.. هدم كل ما هو قائم لإقامة جديد سوف
يُهدم في المستقبل القريب لتبقي المنطقة دائماً وأبداً
في حروب أهلية تستهلك طاقتها ومواردها.
_ دورهم سيكون زرع روح اليأس في الجماهير البائسة،
الدعوة إلى المظاهرات والثورة على الفساد.. الشيوعيون
واليساريون أفضل من يقومون بذلك.
_ حقاً.. إنهم ثوريون بطبعهم.

_ إنهم أفضل من يشعل المظاهرات ويجيش شباب
الجامعة وعمال المصانع.

_ لو انضم إليهم الإخوان الساطون على الحكم لأحرقوا
البلاد وقتلوا العباد.

_ الفساد السائد يجعل النفوس وقوداً لثورة جياع آتية لا
محال.

_ عجبي.. حاربونا قروناً لنيل الاستقلال وبعدها نهبوا
بلادهم كما لم نفع.

_ بعضهم يتقدم على أيام الاستعمار.
_ بعضهم يحتفل بدخول بونا بارت لمصر.

_ حتى شيوخهم يرسلون أبناءهم إلى المدارس الإنجليزية.
 _ لا عجب.. إنهم أذكاء.. يعرفون مصالحهم ومصالح
 أبناءهم.
 _ كل همهم هو إبقاء الشعب في الجهل.
 _ سيسمونهم العوام.
 _ لكن معظمهم أتى من هذا الشعب نفسه.
 _ كل من صعد منهم خان طبقته وترك من خلفه أهله
 وناسه في الجهل والفقر.
 _ يثرون ويخبئون أموالهم ويتظاهرون بالتقشف والعفة.
 _ هذه مجتمعات قائمة على الاستعباد.. الحاكم مستبد..
 والوزراء خائفون على مناصبهم.. الخوف يشل حركتهم.
 _ كل منهم يذل الآخر ويهدده بالسحق والسجن.
 _ يهددون بعضهم بمستندات وصور وفصائح جنسية
 مُصَوَّرة في فيديوهات جاهزة للخروج عند الحاجة.
 _ دعوات الكفر والردة جاهزة.
 _ قتلوا وشردوا العشرات من المصلحين والمفكرين
 والصحفيين.
 _ طعنوا بالسكين أول من فاز من كُتَّابهم بجائزة نوبل
 للآداب.
 _ لكن هذه هي اللعبة، يجب أن تبقى هذه البلاد في
 حالة غليان دائم وإلا وصلوا مرة أخرى للأندلس.
 _ "إبك مثل النساء ملكاً مُضاعاً
 لم تحافظ عليه مثل الرجال"
 قالتها عائشة أم أبي عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة،

هذا القول يرددونه إلى اليوم بكاءً على الأندلس الضائع.

_ مصر هي الخطر.. بدونها ستنهار كل البلاد العربية.

_ ولكن بدونها ستنهار المنطقة وينزح ملايين المهاجرين إلى أوروبا.

_ يجب أن تبقى دائماً بين الحياة والموت.

_ ثورات ربيعية في هذه البلاد ستقضي عليها.

_ لقد فعلناها في شرق أوروبا.. وقسمنا الاتحاد السوفيتي نفسه.

_ سيكون الأمر أسهل في الشرق الأوسط.. الشباب مُحْبَط، والمواطن مطحون بين البطش والغلاء.

_ يكفي تدريب بعض الشباب الثائر على وسائل الاتصال الحديثة وتسهيل تواصلهم مع مراكز الطلبة والعمال.

_ لا بد من جرائد جديدة ومحطات فضائية بعيدة عن سيطرة الحكومات المحلية لنشر أفكارنا.

_ أفكارنا.. وما هي أفكارنا؟

_ مرة أخرى.. (يضحك).. هدم ما هو قائم لإقامة شيء جديد سنهدمه فيما بعد.

_ هذا عارٌ على الغرب وقيم الإنسانية.

_ هل تريد أن تتحجب ابنتك وتتكلم العربية؟

_ أم تريد أن تلبس الجلباب وتطلق لحيتك.

_ ستكون فتنة.

_ سيكون هناك ضحايا أبرياء.

وهنا صاح "بادوني":

_ هؤلاء هم الإنجليز!

إنهم يتحكمون بالمُسْلِمِينَ كالعرائس المتحركة!
لقد تمكنوا منا.. أين قاضي القضاة؟ أين مخدوم
الملك؟ أين صدر الصدور؟ أين جيوش الإمبراطورية؟
وصرخ في الآلة:

_ شيوخ الإسلام.. شيوخ الإسلام.. المؤامرة على الإسلام.
على الشاشة ظهرت الألوان، صالات تليفزيونية فسيحة
يناقش فيها شيوخ الإسلام أموراً عديدة ويصدرون الفتاوى،
مناظرات تليفزيونية في برامج مختلفة يتبادل فيها الشيوخ
الأمور الدينية مع غيرهم من الشيوخ بالزي الأزهري، شيوخ
آخرون يرتدون الحلات الحديثة وربطات العنق، شيوخ يظهرون
كنجوم السينما مفتولي العضلات بقمصان مفتوحة، آخرون
يظهرون بسكسوكة حديثة لا تمت إلى لحي الشيوخ بشيء.
تبدأ المناقشات هادئة، الكل يحاول إظهار تقبله للآخر
بل محبته له، واحترامه لأرائه. سرعان ما تدخل المناقشات
والمجادلات في أمور حساسة، يشتعل النقاش وتكف
المجاملات ويختفي الاحترام المتبادل، يخرج أحدهم عن
الموضوع ويبدأ في اتهام مُحدثه بقلة مؤهلاته الدراسية وعدم
قدرته على فهم أمور الإسلام بل وعدم أهليته للكلام في
هذه المواضيع. على شاشات أخرى يظهر مفكرون وكُتّاب
يقيمون الحجة العقلية ويحاولون إقناع رجل الدين أمامهم فيرد
عليهم غالباً باب المناقشة: "لدى آيات القرآن" "هذا كلام
الله المنزل". أي يريد أن يقول لهم: انتهت المناقشة، من أنت
حتى تشكك أو تخالف كلام الله؟

على شاشات أخرى شيوخ يهدمون المسيحية.. وقس

يهدمون الإسلام.

حين تأتي الأخبار تتصدرها أنباء عن حرق كنيسة ،
ومشاجرات بين مُسلمين ومسيحيين تنتهي بوقوع قتلى ،
عمليات قتل فردية وجرائم عادية تتحول إلى فتنة بين مُسلمين
ومسيحيين..

هجومٌ مُسلَّح على مسيحيين يخرجون من كنيستهم يوم
عيدهم..

قنابل في مساجد شيعية ، تفجيرات في مساجد سُنية ،
أهالي بلدة يسحلون عائلة شيعية ، دعوات من شيوخ سلفيين
بتحريم مبادلتهم التهنة والتحية بل عدم مصافحتهم..

أقباط يتظاهرون في عواصم غربية ضد الاضطهاد في
مصر ، تحريك دعوات قضائية لإدانة مصر في المحافل
الدولية لعدم احترامها لحقوق الإنسان واضطهاد الأقباط..

ظهور كُتّاب من أصل نوبي يطالبون بإرجاع اللغة النوبية
والأراضي النوبية ويتفاخرون بالعادات والتقاليد النوبية ثم
يترحمون على القرى النوبية الغارقة في مياه السد العالي ،
بعضهم يبدأ في المطالبة بالانفصال عن مصر وتكوين
الدولة النوبية في جنوب مصر وشمال السودان..

في الصحراء الغربية تظهر مطالبات بتدريس اللغة
الأمازيغية وحقوق الواحات في إقليم منفصل..

دعوات للدفاع عن حقوق المرأة والمثليين والشواذ من
كل نوع ودمجهم في المجتمع ، قوانين لنصرة المرأة من
كل نوع ودمجهم في المجتمع ، قوانين لنصرة المرأة عند
الطلاق يهاجمها الشيوخ..

دعوات لمهاجمة كل كاتب يحث على المساس بثوابت الأمة..

مؤتمرات دولية لتعديل المناهج المدرسية التي تهاجم اليهود وتحث على كراهيتهم..
جرائد تنشر المخططات لتقسيم مصر وغيرها من البلاد العربية..

سيناريوهات حروب أهلية كما حدث في لبنان.
على الشاشة تظهر يافطات:

"من اليهودي التائه إلى المُسلم الإرهابي"..
ظهور وثيقة "فتح مصر" .. خطة الإخوان للسيطرة على مصر.
مصطفى مشهور المرشد الإخواني يصرح: "حروب العقائد
تحتاج إلى الإيمان قبل الأموال".

على بلحاج الثاني في جبهة الإنقاذ الإسلامية الجزائرية
يقول بعد نجاح جبهته في الانتخابات الديمقراطية: اليوم هو
انتصار الديمقراطية. واليوم هو موتها".

مُرشد الإخوان يقول: "طر في مصر"..
آخر يُحرّم تجنيد المسيحيين في الجيش..
صرخات في الشوارع والأرصفة: "تبرعوا لبناء مسجد"..
إخواني يصرح: "مصر يمكن أن يحكمها مائليزي مُسلم
ولا يحكمها مسيحي مصري"..
دعوات تنتشر في كل مكان للجهاد في أفغانستان

لنصرة الإسلام والدفاع عن ديار الإسلام من غزوة الكفار..
جماعات إسلامية تنهب محلات الأقباط وتستحل دماءهم
وأموالهم..

ملتحنون يتجهمون على الطلاب في الجامعات ويشهرون
الجنازير والسكاكين..

الاعتداء على الفتيات في الشوارع والتحرش بهن..
ضرب كل شاب يسير مع فتاة في الشارع ومطالبة
بإثبات قرابته منها..

فصل الطالبات عن الطلاب في مدرجات الجامعات بالعنف..
تحريم الاختلاط في الفصول الدراسية وأروقة الجامعة..
مهاجمة الحفلات الثقافية والغنائية وإفشالها..

الموسيقى حرام، السينما حرام، الرقص حرام، الفن حرام..
مصطفى مشهور المرشد الإخواني يصرح:

"دعوة الناس إلى الديمقراطية تناهض وتحارب الإسلام"..
هيسستيريا دينية في الشوارع وعلى شاشات التلفزيون..
دعوات قضائية ضد كُتّاب وشعراء واتهامهم بالكفر..
هروب مفكرين وأساتذة جامعات للخارج هرباً من حكم

الردة والمطالبة بتفريقهم عن زوجاتهم..

قنوات دينية تنتشر على الفضائيات وتملاً السماء بدعوات
لمحاربة مظاهر الكُفر والحدّاث والتبرج والعودة إلى بداية
العصر الإسلامي النقي..

اجتياح إسرائيل للبنان، العراق يبدأ حربه ضد إيران، بداية
الكلام عن القاعدة، هجمات نيويورك الأولي، هدم البرجين
بالبطائرات، صورة المُسلم الإرهابي تنتشر في كل مكان..
أمريكا تهاجم أفغانستان وتقصفها بالصواريخ والطائرات
ثم تغزوها..

أمريكا تهاجم العراق وتحتلها وتقسّمها إلى دولة شيعية

ودولة كردية ودولة سنية..

ثورات الربيع العربي تندلع في تونس ثم مصر وليبيا
وسوريا واليمن..

ظهور داعش والدواعش.. وصور ذبح الرهائن تنتشر في
الفضائيات..

متخصصون في الإسلام والحركات الإسلامية والإرهاب
يملأون شاشات التلفاز ليلاً ونهاراً..

"من اليهودي التائه إلى المسلم الإرهابي"..

مُلتحون يقتلون سياح على شواطئ تونس وجنوب مصر..
الجهاد.. الجهاد..

"داعش هي خوارج العصر الحديث"..

دواعش بملابس سوداء.. ملثمون يذبحون بدم بارد عمالاً
مصريين في ليبيا..

رهبان يتعرضون للقتل في دير بالجزائر..

طواير تدريب لملثمين بملابس سوداء يرفعون راية سوداء
مكتوب عليها "لا إله الا الله محمد رسول الله"..

عشرات الآلاف من العمليات الإرهابية في كل القارات..
قتل، ذبح، عربات مفخخة، دراجات مفخخة، عبوات
ناسفة، اقتحامات، اغتيالات، إحراق منشآت، قتل رجال
البوليس، مهاجمة المارة بعربات نقل، مهاجمة قس وذبحه
بسكين في وسط كنيسه..

عمليات تفجير في صالات عرض ومسارح وإطلاق نيران
على رواد مقاه في وسط باريس.. إفريقي في شوارع لندن
بسكين يقطر دماً بعد قتله لرجل.

ملتحنون يفجرون أنفسهم بعبوات ناسفة وسط الأهالي.
جدل حول عدد العذارى اللائي سيحصل عليهن كل من
فَجَّر نفسه حين صعوده للسماء..

دعوات لجعل برمنجهام ولاية إسلامية سلفية..
دعوة لقصف مدينة مولينبيك في بلجيكا للتخلص من
الإسلاميين..

روايات تتحدث عن رئيس مُسلم لفرنسا..
اليمن المتطرف يُلوّح بتحويل فرنسا وبلجيكا إلى دولٍ
مُسلمة..

دعوات لطرد المهاجرين خاصة المُسلمين خارج أوروبا..
مُسلمون يتهمون الغرب بخلق الحركات الإسلامية
المتطرفة للإساءة للإسلام..

صور حسن الترابي، أسامة بن لادن، أيمن الظواهري،
المُلا عمر، عمر عبد الرحمن، أبو مصعب الزرقاوي،
حسن نصر الله في كل مكان..

مُسلمون يتهمونهم بالشياطين الذين خطفوا الإسلام
الحنيف المعتدل وشوهوا سمعته.. هذا ليس من الإسلام..

"من اليهودي التائه إلى المُسلم الإرهابي"
تجار مخدرات من المهاجرين المغاربة يتحولون إلى
إسلاميين متطرفين ويقومون بأعمال إرهابية في مَدُن أوروبا.

جهاد النكاح في سوريا ورحيل مئات القاصرات..
وقصص عن زواجهن من المجاهدين الدواعش..
الفتاة التي يموت زوجها في القتال تذهب لرجلٍ آخر..
داعش تمتد وتتوسع في العراق وسوريا..

داعش صناعة سعودية..
داعش صناعة غربية إسرائيلية..
الدواعش يُعالجون في مستشفيات إسرائيل في الجولان
المحتل..

لم يُطلق إسلامي واحد رصاصة على إسرائيل..
لم تُطلق داعش قذيفة واحدة على إسرائيل..
ظهور فضائيات إسلامية لمذيعات يضعن البرقع على
رءوسهن ولا يظهر إلا العينان..
ظهور جماعات إسلامية تكفر الأنبياء.. حتى الأنبياء..
أنباء عن ترويح أميركا لديانة جديدة في الشرق الأوسط
تدعي "الدين الإبراهيمي"..

دراسات وندوات حول النبي "إبراهيم".
النبي "إبراهيم" أبو الديانات السماوية الثلاثة.
خطط ودراسات "رومانوفسكي" من الخارجية
الأمريكية لإلغاء سور من القرآن بل كتابة قرآن جديد.
وصاح "بادونى":

_ من كان يقول "من اليهودي التائه إلى المُسلم
الإرهابي؟"

ورد "أبو الفضل":

_ حقاً من كان يقول:

"من اليهودي التائه إلى المُسلم الإرهابي"..
وسمعنا مستر يقول:

_ لقد تمكنا منهم، سيقتل بعضهم بعضاً.

وقال مستر آخر:

_ لو تمكن "أكبر" من إصلاحاته لما وصلنا إلى هذا
النجاح..

ورد عليه مستر آخر:

_ لولا رجال الدين لما وصلنا إلى هذا النجاح.
وهجم "بادوني" على المسترين في الشاشة صائحًا:
_ ويل لكم.. انتظروا حتى نتمكن منكم.
ثم صاح يائسًا:
_ لو...

* * *

المؤلف

ميلاد حلمي

_ كاتب وصحفي مصري.

_ يقيم في باريس.

صدر له:

* محرقة سافونارولا، مسرحية، مركز الحضارة العربية، 2000م.

* الممسوخ، رواية، دار ألف للنشر،

* المنبوذ، رواية، دار ألف للنشر،

* الناموس، رواية، دار ألف للنشر،

* عبادة خان.. لندنستان، رواية، مركز الحضارة العربية،

ط1، 2023م، ط2، 2024م.